الحركة الإسلامية
في المجال السياسي والعالمي

- نحو فقه سياسي رشيد .
- الحركة وقضايا تحرير الأرض الإسلامية .
- الحركة وقضايا التحرر في العالم .
- الحركة والأقليات المسلمة في العالم .
- الحركة الإسلامية والمغتربون .
- الحركة وقضايا الحرية السياسية والديمقراطية .
- الحركة والأقليات العرقية والدينية في المجتمع
- الحركة والحوار مع الآخرين :

= الحوار مع عقلاء العلمانيين .

= الحوار مع عقلاء الحكّام .

= الحوار مع العقلاء في الغرب :

- الحوار الإسلامي المسيحي .

- الحوار مع المستشرقين .

- الحوار مع الساسة .

- الحركة والمؤسسة الدينية .
- الحركة وفصائل الصَحْوَة .

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

نحو فقه سياسى رشيد

● ظواهر فكرية سلبية :

هناك ظواهر فكرية لا تخفى على الدارس المتأمل ، في محيط الحركة الإسلامية ، ولا سيما فى المجال السياسى .

هناك « فكر المحنة » الذى لا زال له تأثيره على كثير من كُتّاب الحركة الإسلامية وموجهيها ، ولا زال يصبغ - بقدر أو بآخر - كثيراً من الإنتاج الدَعَوى والتربوى ، وكذلك التوجه السياسى .

ولا بد للحركة أن تتجاوز فكر المحنة ، وتتعامل مع الناس والحياة والعالَم ، من خلال « فكر العافية » .

هناك « الفكر الظاهرى » الذى يقف عند حَرفية النصوص ، ولا ينفذ إلى مقاصد الشرع ، ولا يهتم بمصالح الخلق . وقد أكد المحققون أن الأحكام لم تُشرع إلا لتحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد . وأى حكم خرج من المصلحة إلى المفسدة ، أو من الحكمة إلى العبث ، فليس من الشريعة فى شىء وإن أدخل فيها بسوء التأويل كما قال الإمام ابن القيم .

وقد يمكن قبول هذا الفكر فى بعض الشعائر والأحكام المتعلقة بالأفراد ، ولكنه لا يُقبل بحال فى مجال « السياسة الشرعية » التى ينبغى أن تقوم على السعة والمرونة ، ومراعاة تغير الزمان والمكان والإنسان .

هناك « الفكر الخارجى » الذى يتسم أصحابه بالإخلاص والشجاعة ، ولكنه محدود الأفق ، ضيق النظرة إلى الدين والحياة ، عنيف فى التعامل مع الآخرين ، عمدته الرفض والاتهام وسوء الظن ، حتى للإسلاميين أنفسهم ، مع إعجاب بالرأى ، وهو أحد المهلكات .

هناك « الفكر التقليدى » الذى يبحث عن حل كل معضلة فكرية أو سياسية أو تشريعية ، فى كتب المتأخرين ، من علماء مذهبه .

لا يخرج من إسارها ، ولا ينظر إلى الشريعة بمفهومها الرحب ، بمجموع مدارسها ومذاهبها ، كما لا ينظر إلى العصر وتياراته ومشكلاته ، فهو بنظره هذا يُحَجِّر ما وسَّع الله ، ويُعَسِّر ما يَسَّرَ الدين .

ولن يكون للحركة الإسلامية فقه سياسى راشد ، إلا إذا تجاوزت هذه الظواهر الفكرية السلبية ورشحاتها على رجالها ، وينضح فيها هذا الفقه الجديد الذى نركز عليه : فقه السُنَن ، وفقه المقاصد ، وفقه الموازنات ، وفقه الأولويات .

* * *

● خلل فى الفقه السياسى ينبغى علاجه :

ولا بد لها أن تعمل على علاج هذا الخلل فيما نقرؤه ونسمعه من مفاهيم غريبة ، وأحكام عجيبة ، ومناهج فى الاستدلال أغرب وأعجب !

وأكثر مايكون ذلك وأوضح فى الفكر السياسى ، والفقه السياسى وهو فقه لم يأخذ حقه من البحث والتعمق قديماً ، كما أخذ فقه العبادات والمعاملات والأنكحة ونحوها .

وهو كذلك اليوم يشوبه كثير من الغبش والتباس المفاهيم ، واضطراب الأحكام ، وتفاوتها فى أذهان العاملين للإسلام تفاوتاً يجعل المسافة بين بعضها وبعض كما بين المشرق والمغرب .

لقد رأينا مَن يعتبر الشورى معلمة لا ملزمة ، ومَن يمنح رئيس الدولة حق إعلان الحرب وعقد المعاهدات دون الرجوع إلى ممثلى الأمة .. ومَن يرى الديمقراطية كفراً أو سبيلاً إلى الكفر !

ومَن يرى أن المرأة لا مكان لها فى سياسة الأمة ، وأن مكانها البيت لا تخرج منه إلا إلى بيت الزوج أو القبر ! وأن ليس لها حق التصويت والشهادة فى أية انتخابات بله أن تُرَشِّح نفسها لمجلس بلدى أو نيابى .

ومَن يرى أن التعدد أو التعددية - كما يقال اليوم - أمر يرفضه الإسلام ، ولا يجوز إنشاء أحزاب أو جماعات أو هيئات لها رؤية أو رأى سياسى داخل الدولة المسلمة [١] .

لقد قَفَّ شعر رأسى حين أطلعنى بعض الإخوة على رسالة كتبها بعض المتحمسين من الدعاة عنوانها « القول السديد فى أن (دخول المجلس النيابى) ينافى التوحيد » وهو خلط عجيب يُدخل مسائل العمل فى مسائل العقيدة ، ومسائل العمل تدور بين الصواب والخطأ لا بين الإيمان والكفر ، فهى من السياسة الشرعية التى يؤجر المجتهد فيها مرتين إن أصاب ، ومرة واحدة إن أخطأه التوفيق .

وهو نفس ما وقع فيه الخوارج قديماً ، حين كفَّروا الإمام علياً كرَّم اللّه وجهه ، بأمر عملى يتعلق بالسياسة والاجتهاد فيها ، فجعلوها قضية عقدية ، وقالوا : حَكَّمَ الرجال فى دين اللّه ولا حُكْمَ إلا للّه ! وما أبلغ رده عليهم بكلمته التاريخية إذ قال : كلمة حق يُراد بها باطل !

* * *

● حوار مهم حول الفقه السياسى :

وكم هالنى أن أجد بين علماء أفغانستان - أولئك الأبطال الذين يقودون الجهاد بحماس وإخلاص وثبات - مَن يرى أن تعليم المرأة حرام ، وأن اللجوء إلى الانتخابات لاختيار ممثلى الشعب ، أو رئيس الدولة،حرام ، وأن تحديد مدة رئيس الدولة حرام ، وأن القول بأن الشورى ملزمة حرام .

وقد ناقشنى بعض الإخوة المقتنعين بهذه الأفكار ، قائلاً : إن الذى دعا إلى فشل الحركات الإسلامية فى العصر الحديث هو إيمانها بهذه الأفكار الذى يعتقد

---

(١) لى رأى فى هذا نشرته جريدة « الشعب » المصرية فى شهر رمضان ١٤١٠ هـ ، وسيُنشر ضمن الجزء الثانى من كتابى « فتاوى معاصرة » بتوفيق اللّه تعالى .

هو أنها أفكار غير إسلامية ، وأننا لا يمكن أن ننجح إذا اتخذنا إلى الغايات الإسلامية وسائل غير إسلامية !

قلت للأخ الذى ناقشنى : ما الذى جعل تحديد مدة رئاسة الدولة حراماً إذا رأى فيه المسلمون مصلحتهم ؟

قال : إنه مخالف لفعل المسلمين منذ عهد الخليفة الأول أبى بكر رضى اللّه عنه ، فلم يحدث أن اختير أحد منهم لمدة مؤقته ، بل بقى فى الإمارة مدى الحياة ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين الذين أمرنا الرسول الكريم ﷺ أن نتبع سُنَّتهم ، ونَعض عليها بالنواجذ كما رواه أصحاب السُنَن عن العِرباض بن سارية عنه عليه الصلاة والسلام . وقد حذرنا الرسول ﷺ فى هذا الحديث من مُحْدَثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة ، وهذا من المُحْدَثات المبتدَعة .

قلت له : إننا قبل أن نؤمر باتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين أُمِرْنا أن نتبع سُنَّة النبى ﷺ ، التى هى الأصل الثانى فى الإسلام ، وهى - مع كتاب اللّه - المرجع عند التنازع والاختلاف ، وفى حديث العرباض المذكور : « عليكم بسُنَّتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين .. » إلخ ، فقدَّم سُنَّته ﷺ .

وسُنَّة الرسول الكريم كما هو معلوم : قول وفعل وتقرير ، وأفعاله خاصة لا تفيد الوجوب بذاتها ، بل تدل على مجرد المشروعية والإباحة ، ما لم ينضم إليها دليل آخر ، يدل على الاستحباب أو الوجوب .

ولهذا رأينا من الخلفاء الراشدين مَن يخالف سُنَّته الفعلية - عليه الصلاة والسلام - إذا رأى المصلحة التى روعيت فى عهد النبوَّة قد تغيَّرت .

ومن ذلك : أنه ﷺ قسَّم خيبر بعد فتحها بين المقاتلين ولم يفعل ذلك عمر رضى اللّه عنه ، عندما فتح سَواد العراق ، حيث رأى أن الأصلح فى زمنه غير ذلك ، وجادله كثير من الصحابة فى ذلك ، ولا سيما أن رأى عمر يخالف ظاهر عموم آية سورة الأنفال : ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ (١) .

---

(١) الأنفال : ٤١

وقال عمر فى ذلك : رأيتُ أمراً يسع أول الناس وآخرهم : وقال : أتريدون أن يأتى آخر الناس وليس لهم شىء ؟!

أى إنه راعى مصلحة الأجيال القادمة ، وهذا نوع من التكافل الرائع بين أجيال الأمة بحيث لا يستمتع جيل على حساب جيل أوأجيال لاحقة ، واستند عمر فى ذلك إلى آيات سورة الحشر التى أشارت إلى قسمة الفىء بين المهاجرين والأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ (١) .

وعلّل الإمام ابن قدامة الاختلاف بين صنيع عمر وصنيع الرسول الكريم ، بأن النبى ﷺ فعل ما هو الأصلح فى زمنه ، وعمر فعل ما هو الأصلح فى زمنه .

وإذا لم يكن فعل الرسول - وهو جزء من سُنّته - مُلْزِماً لمن بعده ووسع الصحابة أن يخالفوه لاعتبارات رأوها ، فكيف يكون فعل المسلمين من بعده ملزماً لمن بعدهم ؟

إن مجرد السوابق العملية لا تحمل صفة الإلزام التشريعى ، كل ما فى الأمر: أنها كانت هى المناسبة لمكانها ، وزمانها وحالها ، فإذا تغيرت هذه الأشياء تغيَّر ما بُنِىَ عليها .

فموضع القدوة فيها والعبرة منها : أن ننتقى من الأنظمة والتشريعات ما يصلح لزماننا وبيئاتنا وأحوالنا فى إطار النصوص العامة والمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية الرحبة .

أما الاحتجاج بالإجماع العملى من المسلمين على عدم تأقيت مدة الأمير ، ففى هذا الاحتجاج شىء من المغالطة .

فالإجماع الذى حصل يفيد شرعية استمرار مدة الأمير مدى الحياة وهذا لا نزاع فيه . أما الأمر الآخر وهو التحديد أو التأقيت ، فلم يبحثوا فيه ، بل هو مسكوت عنه ، وقد قالوا : لا يُنسب إلى ساكت قول ، فلا يجوز أن يُنسب إليهم فى هذه القضية إثبات ولا نفى .

---

(١) الحشر : ١٠

وأما القول بأن تحديد مدة الأمير أو رئيس الدولة ، إحداث أمر مبتدَع فى الإسلام ، ومن الثابت بالنص والإجماع أن كل بِدعة ضلالة .

فإن المقدمة الثانية مُسَلَّمة ، وهى أن كل بِدعة ضلالة ، ولكن لا بد من إثبات المقدمة الأولى ، وهى أن هذا الأمر داخل فى نطاق البِدعة الشرعية .

ومن الخطأ البيِّن ، بل من الضلال البعيد ، أن يُظَن أن الإسلام يقاوم كل جديد مستحدَث ، بإدخاله تحت اسم البِدعة .

فالواقع أن البِدعة ما كان فى أمر الدين المحض ، مثل العقائد والعبادات وما يلحق بها ، أما ما كان من أمور الحياة المتغيرة من العادات والأعراف والأوضاع الإدارية والاجتماعية والثقافية والسياسية ونحوها فليس هذا من البِدعة فى شىء ، بل هذا يدخل فيما سماه العلماء « المصلحة المرسَلة » كما بيَّن ذلك الإمام الشاطبى فى كتابه « الاعتصام » . وعلى هذا فعل الصحابة أموراً لم يفعلها النبى ﷺ ، مثل كتابة المصحف ، وتدوين الدواوين ، وفرض الخراج ، واتخاذ دار للسجن .

وفعل التابعون أموراً لم يفعلها الصحابة مثل : سك النقود ، وتنظيم البريد وغيرها ...

وابتكر المسلمون أشياء لم تكن فى عهد النبوَّة ولا الصحابة مثل : تدوين العلوم التى كانت معروفة من قبل ، وابتكار علوم جديدة مثل علوم الدين واللُّغة والعلوم الإنسانية المختلفة .

* * *

• موضع الخطأ فى الاستدلال المطلق بالسيرة على الأحكام :

ومن أسباب الخطأ والاضطراب فى الفقه السياسى : الخلط بين السُنَّة والسيرة في الاحتجاج .

السُنَّة مصدر للتشريع والتوجيه فى الإسلام بجوار القرآن الكريم .

فالقرآن هو الأصل والأساس ، والسُنَّة هى البيان والتفسير والتطبيق .

ولكن الخطأ الذى يقع فيه البعض هنا أنه يضع « السيرة » موضع « السُنَّة » ويستدل بأحداث السيرة النبوية على الإلزام كما يستدل بالسُنَّة والقرآن .

والسيرة ليست مرادفة للسُنَّة ، فمن السيرة ما لا يدخل فى التشريع ولا صلة له به . ولهذا لم يُدخل الأصوليون السيرة فى تعريف السُنَّة ، بل قالوا : السُنَّة ما صدر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، ولم يجعلوا منها السيرة .

أما المحدِّثون فهم الذين أضافوا - إلى القول والفعل والتقرير - الوصف «الخَلْقى والخُلُقى » والسيرة . لأنهم يجمعون كل ما يتعلق به ﷺ مما له علاقة بالتشريع وما لا علاقة له به ، فيروون من حياته ما قبل البعثة من المولد والرضاع والنشأة والشباب والزواج .. إلخ .. ويروون أوصافه الخَلْقية والخُلُقية ، ويروون كل ما يتصل بحياته ووفاته ﷺ .

المهم أن بعض الفصائل الإسلامية تتخذ من السيرة دليلاً مطلقاً على الأحكام ، وتعتبرها مُلْزِمة لكل المسلمين .

وهنا ملاحظتان مهمتان :

الأولى : أن فى السيرة كثيراً من الوقائع والأحداث مروية بغير السند المتصل الصحيح ، فقد كانوا يتساهلون فى رواية السيرة ما لا يتساهلون فى رواية الأحاديث المتعلقة بالأحكام وأمور الحلال والحرام .

الثانية : أن السيرة تمثل الجانب العملى من حياة النبى ﷺ أى تمثل قسم «الفعل » من السُنَّة غالباً .

والفعل لا يدل على الوجوب والإلزام وحده ، إنما يدل على الجواز فقط ، أما الوجوب فلا بد له من دليل آخر .

صحيح أننا مطالَبون بالاقتداء به ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (١) .

ولكن الآية تدل على استحباب التأسى والاقتداء به ، لا على وجوبه .

على أن اتخاذ الأُسوة من سيرته إنما يكون فى الأخلاق والقيم والمواقف العامة . لا فى المواقف التفصيلية .

فليس من الضرورى أن نقتدى به بالبدء بالدعوة سراً ، إذا كان الجهر ميسوراً ومأذوناً به .

وليس من الضرورى أن نهاجر كما هاجَرَ ، إذا لم يكن لدينا ضرورة للهجرة بأن كنا آمنين فى أوطاننا ، متمكنين من تبليغ دعوتنا .

ولهذا لم تعد الهجرة إلى المدينة فرضاً على كل مسلم بعد فتح مكة ، كما كانت من قبل . ولهذا قال ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استُنْفِرتم فانفروا » (٢) أى لا هجرة إلى المدينة . وإن بقيت الهجرة من كل أرض لا يتمكن المسلم من إقامة دينه فيها .

وليس من الضرورى أن نطلب « النُصرة » من أصحاب السلطة والقوة ، كما طلبها هو من بعض القبائل ، فاستجاب له الأوس والخزرج ، إذا لم يعد ذلك أسلوباً مجدياً فى عصرنا .

وليس من الضرورى أن نظل ثلاثة عشر عاماً نغرس العقيدة ، وندعو إليها ، لأننا اليوم بين مسلمين يؤمنون بأن لا إلٰهَ إلّا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه ، فليسوا محتاجين إلى أن نُعَلّمهم العقيدة مثل هذه المدة .

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) متفق عليه وهو مروى عن عدد من الصحابة .

وإذا اهتممنا اليوم بالعدالة الاجتماعية أو بالشورى والحرية ، أو بالانتفاضة الفلسطينية ، أو بالجهاد الأفغانى ، فليس ذلك مخالفة للهَدى النبوى الذى لم يهتم بهذه الأمور إلا فى المدينة ، لأن الرسول ﷺ كان فى مكة فى مجتمع جاهلى مشرك باللّه ، مكذِّب برسالة محمد ، فكانت المعركة الأولى معه حول التوحيد والرسالة .

بخلاف مجتمعنا اليوم ، فقد آمن باللّه رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، وإن كان فيه ما فيه من المعصية والانحراف عن شرع اللّه .

* * *

OBEIKAN.COM

الحركة وقضايا تحرير الأرض الإسلامية

ومما لا يجادل فيه منصف : أن الحركة الإسلامية قد جعلت تحرير الأرض - كل الأرض - الإسلامية من أكبر همومها ، منذ نشأتها .

وقد سمعتُ الإمام الشهيد حسن البنا فى إحدى خطبه يقول : إن جهودنا وجهادنا تتركز حول محورين أساسيين : الفكرة الإسلامية ، والأرض الإسلامية .

وإنما قرن بينهما : لأن الفكرة لا تستقر ولا تتمكن إلا فى أرض حرة مستقلة تسود فيها قيمها ، وتعلو كلمتها ، وتحكم شريعتها .

ومن هنا كانت أهمية « دار الإسلام » التى فيها يحيا ومنها ينطلق ويقود .

ومن أجل هذا أجمع فقهاء الأمة على وجوب الدفاع عن كل أرض يغزوها الكفار ، وأن هذا الجهاد فرض عين على أهلها ، وأن جميع المسلمين مطالَبون بإعانتهم بالمال والسلاح والرجال إن احتاجوا إليهم ، حتى يحرروا أرضهم من كل غاصب دخيل .

ولهذا لا يسع الحركة أن تقف صامتة أو متفرجة أمام أى جزء من أرض المسلمين يحتله أجنبى معتد أثيم .

ولا غرو أن كان المركز العام للإخوان المسلمين فى القاهرة هو دار المجاهدين والثوار الأحرار ، المناوئين للاستعمار من أنحاء العالَم العربى والإسلامى ، من أندونيسيا إلى مراكش .

وقد سمعتُ الإمام البنا يتحدث فى أحد المؤتمرات القومية لشرح المطالب الوطنية التى يجاهد فى سبيلها الإخوان المسلمون . فتحدَّث عن الوطن الصغير ، وهو وادى النيل شماله وجنوبه (مصر والسودان) وعن الوطن الكبير وهو الوطن العربى من الخليج إلى المحيط ، وعن الوطن الأكبر وهو الوطن الإسلامى من المحيط إلى المحيط .

وأكد أن تحرير هذا الوطن الأكبر من كل سلطان أجنبى فرض على المسلمين جميعاً ، وإحدى المهمات الأساسية للإخوان المسلمين .

ومن أول القضايا التى اهتم بها الشهيد البنا ، ولفت إلى خطرها الأنظار ، وأثار الهمم ، وحرّك الجماهير ، قضية أرض النبوّات ، أرض الإسراء والمعراج، أرض فلسطين ، والخطر اليهودى الذى يتربص بها ، فى الوقت الذى كان الكثيرون من زعماء العرب والمسلمين فى غفلة عن المؤامرة الكبرى التى تبيّت لأُولَى القبلتين المسجد الأقصى الذى باركَ اللّه حوله .

وكم كتب حسن البنا من مقالات ، وكم قاد من مسيرات ، وكم عقد من مؤتمرات ، وكم جنّد من رجال ، وكم جمع من سلاح ومال ، من أجل قضية فلسطين .

وحسبه ما سطرته دماء الشهداء من أبنائه وجنوده على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ وما سجّله لهم التاريخ بأحرف من نور ، كما شهد بذلك اللواء المواوى ، وغيره من قادة الجيش المصرى ، بل ما شهد به اليهود أنفسهم .

وفى كتاب الأستاذ كامل الشريف « الإخوان المسلمون وحرب فلسطين » صفحات مضيئة لهذا الجهاد المجيد ، وفيه من الوقائع والحقائق ما يكفى ويشفى .

وهذا هو دور الحركة الإسلامية دائماً وأبداً ، مع كل قضية من قضايا الأمة المسلمة مشرقاً ومغرباً ، وضد كل استعمار ، غربياً كان أم شرقياً ، أبيض أم أحمر .

ومن هنا كان اهتمام الحركة بقضية أفغانستان ، التى تمثل خط الدفاع الأول أمام الزحف الشيوعى الأحمر ، حتى ظن بعض الناس أن الحركة نسيت قضية فلسطين بقضية أفغانستان . والواقع أن الحركة لم تنس - ولن تنسى - قضية فلسطين ، بل هى القضية الإسلامية الأولى ، وتحريرها هو الواجب الأول ، بل إن هذا ما يؤمن به المجاهدون الأفغانيون أنفسهم .

كل ما فى الأمر أن قضية فلسطين كانت فى حاجة إلى راية إسلامية تُرفع ليلتف الناس حولها ، ويجتمعوا تحتها . وقد حدث ذلك منذ قامت ثورة المساجد ، وانتفاضة الحجارة ، وأشبال الحجارة ، وشعارها : لا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر ، وتبلورت فى حركة المقاومة الإسلامية الواعية الباسلة الصامدة « حماس » التى جسّدت إيمان الشعب الفلسطينى بإسلامه وعروبته ، وأنه حى لا يموت ، وأن جهاده مستمر تحمله الأيدى المتوضئة ، والقلوب المتطهرة حتى النصر إن شاء اللّه .

إن على الحركة الإسلامية أن تعتبر نفسها مجنّدة لكل قضية إسلامية ، كلما سمعت هيعة طارت إليها .

عليها أن تكون مع أرتيريا فى جهادها ضد النظام الصليبى الماركسى الظالم الذى يريد أن يبتلع هذا القُطر ، وأن يبقى إقطاعية له ، وأهلها كرقيق الأرض فى عصر الإقطاع .

وأن تكون مع السوادن ضد التمرد العنصرى الصليبى العميل ، الذى يريد أن يفرض تعصبه العنصرى على السوادن كله شماله وجنوبه ، وأن يسلخه من إسلامه وعروبته ، حتى يرضى .

وأن تكون مع مسلمى الفلبين ضد الحكم الصليبى المتعصب الذى يريد أن يبيد خضراءهم ، ولا يبتغيهم إلا عبيداً ممزقين ، غير قادرين على شىء .

وأن تكون مع مسلمى كشمير ، حتى يقرروا مصيرهم باختيارهم وإرادتهم ، بالانضمام إلى باكستان ، أو باستقلالهم بأنفسهم ، ويبطلوا مؤامرة الاستعمار الهندى الذى يحاول إلغاء الهوِّية الإسلامية للولاية ، بالتعليم اللا دينى ، وبإشاعة الفاحشة والمخدرات واتخاذها قاعدة للتآمر على باكستان ، بل على العالَم الإسلامى كله .

وأن تكون مع مسلمى الصومال حتى يتحرروا من حكم الطغاة الذى قتل العلماء ، ونكّل بالمتدينين ، وطارد كل ذى عقل ودين .

وينبغى على الحركة أن تكون لديها معلومات واضحة عن كل هذه الحركات ، وأن يكون لها حضور بشكل أو بآخر بين مجاهديها وقادتها ، وأن تعمل باستمرار على جمع الصفوف وتراصها ، ونسيان الخلافات الصغيرة من أجل الأهداف الكبيرة ، فإن أعظم آفات الجهاد هو التفرقة بين فصائله ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (١) .

وعلى الحركة الإسلامية أن تعمل على تجنيد مسلمى العالَم وراء قضية فلسطين . كما جنّدت الحركة الصهيونية يهود العالَم وراء قضية إسرائيل ، بل عليها أن تُجَنِّد كل ذى ضمير فى العالَم لمساندة قضيتنا العادلة .

وأوجب ما يكون ذلك فى هذه المرحلة الخطرة ، من مراحل القضية التى يُراد فيها تهجير اليهود السوفييت إلى الأرض المحتلة على حساب أهلها من أبناء فلسطين ، تحقيقاً للحلم القديم بقيام إسرائيل الكبرى ، من الفرات إلى النيل ، وطموحاً إلى أرض الحجاز والمدينة المنوّرة وخيبر !

* * *

(١) الصف : ٤

الحركة وقضايا التحرر فى العالَم

ولا ينبغى أن يكون هم الحركة فى قضايا التحرر مقصوراً على أوطان الإسلام ، وإن كان لها وضعها الخاص ، بحكم ما توجبه العقيدة الإسلامية على أهلها من التناصر والتضامن . بل عليها أن تقف مساندة ومعضدة لكل قضايا التحرر من الاستعباد والاضطهاد والظلم فى أنحاء العالَم ، سواء أكان المستعبَدون والمضطهَدون مسلمين أم غير مسلمين .

فقد جاء الإسلام دعوة تحريرية كبرى للإنسان من حيث هو إنسان كرَّمه اللّه واستخلفه فى الأرض ، وسخَّر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه .

جاء الإسلام ليحرر الإنسان من العبودية لكل طاغوت ، وليقف بقوة ضد كل الطواغيت .

وإذا كانت رسالة موسى عليه السلام رسالة تحرير لبنى إسرائيل من جبروت فرعون وهامان وقارون ، فإن رسالة محمد ﷺ رسالة تحرير للبَشرية كلها من كل الفراعين والهوامين والقوارين ، المستكبرين فى الأرض بغير الحق ، المتعالين على عباد اللّه بالباطل ، الذين أرادوا أن ينازعوا الألوهية رداء عزها وعظمتها ، فتألهوا على الناس ، واستذلوهم .

لقد اعلنها القرآن صيحة مدوِّية بالحرية ، وبعث بها الرسول الكريم إلى الاباطرة والقياصرة : ﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) .

---

(١) آل عمران : ٦٤

OBEIKAN.COM

وأعلنها ربعى بن عامر أمام رستم قائد قوّاد الفُرس : إن اللّه ابتعثنا لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة اللّه وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إن اللّه تعالى إنما أنزل كتبه وبعث رسله ، لإقامة العدل فى الأرض ، كما بيّنَ ذلك القرآن الكريم : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ﴾ (١)

لهذا كان كل ظلم يقع من فرد على فرد ، أو من طائفة على أخرى ، أو من شعب على شعب ، ضد رسالات السماء جميعاً . وخصوصاً ما يقع من الجبابرة والأقوياء على المسحوقين والمستضعَفين .

من هنا كانت حملة القرآن على الجبابرة المتكبرين ، وتنديده بهم ، ووعيده لهم : ﴿ وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (٢) .

﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٣) .

﴿ فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) .

وكذلك شدّد القرآن حملته على الظالمين ، فى سوره المكية والمدنية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦) .

﴿ وَتِلْكَ القُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ (٧) .

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُواْ ﴾ (٨) .

---

(١) الحديد : ٢٥ (٢) إبراهيم : ١٥ - ١٦ (٣) غافر : ٣٥

(٤) النحل : ٢٩ (٥) المائدة : ٥١ (٦) يوسف : ٢٣

(٧) الكهف : ٥٩ (٨) النمل : ٥٢

﴿ وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ، إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) .

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ ، وَالحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ (٣) .

والإسلام لا يكتفى بتجريم الظلم وتحريمه أشد التحريم ، بل يُحرِّض على مقاومته بكل سبيل ، ويعتبر السكوت عن الظلمة نوعاً من المشاركة لهم ، توجب الإثم فى الدنيا ، والعقوبة فى الآخرة .

بل هو يعتبر الأمة التى يتمادى فيها الظالمون فى ظلمهم ، ولا يوجد فيها مَن يتصدى للظلم ، أو ينكر عليه ، أمة مستحقة لعقوبة السماء ، بل محكوماً عليها بالفناء . وحين تنزل بها العقوبة تأخذ الجميع : الظالمين لظلمهم ، والساكتين لسكوتهم .

يقول اللّه تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (٤) .

وفى الحديث النبوى : « إنَّ الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم اللّه بعقاب من عنده » (٥) .

« إذا رأيتَ أُمتى تهاب ، فلا تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تُودِّعَ منهم » (٦) .

---

(١) هود : ١٠٢ (٢) الأنعام : ٤٥

(٣) هود : ١١٣ (٤) الأنفال : ٢٥

(٥) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن أبى بكر كما فى صحيح الجامع الصغير (١٩٧٣) .

(٦) رواه الحاكم وصححه عن عبد اللّه بن عمرو ، ووافقه الذهبى (٩٦/٤)

وهذه النصوص بعمومها وإطلاقها تشمل كل ظالم ، سواء أكان ظلمه للمسلمين أم لغيرهم . فالظلم كله شر .

ولا غرو أن يبارك الإسلام كل خطوة إيجابية فيها مقاومة للظالمين ، وانتصار للمظلومين ، ومساندة للمستضعَفين . ويعتبر ذلك ضرباً من العبادة ، ولوناً من الجهاد فى سبيل الله .

بل وجدنا القرآن الكريم يُحَرِّض المؤمنين على قتال الظالمين ، واستنقاذ المستضعَفين من بين براثنهم ، فيقول : ﴿ وَمَالَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ (١) .

صحيح أن المستضعفيَن هنا مؤمنون ، بدليل دعائهم المذكور فى الآية ، ولكن الإسلام لا يرضى أن يُظلم أى إنسان ، ولو كان كافراً . حيث جاء فى الحديث : « اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافراً ، فإنه ليس دونها حجاب » (٢) .

وسمع النبى ﷺ قصة امرأة ضعيفة ظُلِمَت فى أرض الحبشة من أحد الأقوياء القساة ، فكان تعقيبه ﷺ على هذا الحادث أن قال : « كيف يُقَدِّس الله أمة لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » ؟ (٣) .

وفى لفظ : « كيف يُقَدِّس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها ، وهو غير متعتع » ؟! (٤) . وكانت الحبشة فى ذلك الوقت تدين بالنصرانية .

---

(١) النساء : ٧٥

(٢) رواه أحمد وعبد الرزاق والضياء عن أنس ، وحسنه فى صحيح الجامع الصغير (١١٩) .

(٣) رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن جابر كما فى صحيح الجامع الصغير (٤٥٩٨) .

(٤) رواه عبد الرزاق والبيهقى فى السُّنَن عن بريدة ، وابن ماجه عن أبى سعيد ، والحاكم عن أبى سفيان بن الحارث ، كما فى صحيح الجامع الصغير (٤٥٩٧)

والفتح الإسلامى لم يكن فى حقيقته ، إلا استنقاذاً للشعوب المقهورة المظلومة من قهر الظالمين ، وظلم القاهرين ، وتحريراً لها من قبضة الطغاة المتسلطين ، من أكاسرة الفُرس ، أو قياصرة الروم ، ولذا رحبَّت هذه الشعوب بالإسلام ودخلت فيه طوعاً واختياراً .

والواجب على أهل الإيمان والخُلُق أن يتنادوا فيما بينهم لمقاومة كل ظلم يقع على مستضعَف ، ومناصرته حتى يأخذ حقه من ظالمه ، غير متعتع .

وقد حدَّثنا النبى ﷺ عن تجربة من هذا النوع حدثت فى عصر الجاهلية ، وشارك فيها الرسول الكريم ، وهو شاب ، وهى تجربة حلف الفضول ، وقد كان حِلفاً من مجموعة من ذوى المروءات والهمم ، مهمته أن يقف مع الضعفاء فى وجه الأقوياء ، حتى يرد إليهم حقوقهم ، ويصون كرامتهم .

وفيه قال عليه الصلاة والسلام : « لقد شهدتُ مع عمومتى فى دار عبد الله ابن جدعان حلفاً ، ما أحب أن لى به حُمْرَ النَّعَمْ ، ولو دُعيتُ به فى الإسلام لأجبت » (١) .

وكيف لا ينتصر الإسلام للإنسان إذا ظُلِمَ أو أُهين أو اضْطُهِد ، أو أُكْرِهَ على غير ما يريد ، بالنار والحديد ، وهو ينتصر للحيوان الأعجم إذَا ظُلِمَ أو عُذِبَ ، أو حُمِّلَ ما لا يطيق ؟ .

* * *

(١) رواه ابن إسحاق فى السيرة بسند صحيح ، لولا أنه مرسل ، ولكن له شواهد تقويه ، كما قال الألبانى فى تخريج فقه السيرة للغزالى .

الحركة الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالَم

ومما يجب على الحركة الإسلامية أن توجه الاهتمام إليه : الأقليات المسلمة فى أقطار شتَّى من العالَم .

● حقائق مهمة عن الأقليات المسلمة :

وينبغى أن نضع أمام أعيننا هنا جملة حقائق :

١ - إن هذه الأقليات فى مجموعها تكوِّن نحو ربع المسلمين ، أو أكثر . كما تدل على ذلك الدراسات التى تمت فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى الرياض منذ بضعة عشر عاماً .

٢ - إن بعض هذه الأقليات يمثل - من الناحية العددية - التجمع الثانى للمسلمين فى العالَم ، وتلك هى الأقلية الهندية ، التى تفوق المائة مليون والتى لها تاريخها وأثرها العلمى والحضارى فى شبه القارة الهندية وفى الحضارة الإسلامية بصفة عامة .

٣ - إن بعض ما يُعْتَبر أقليات ليس إلا أقطاراً إسلامية خالصة ، ضُمَّت قسراً إلى كيان أكبر منها ، لتذوب فيه ، وتغدو أقلية مسحوقة فى دولة كبرى ، وذلك مثل « الجمهوريات الإسلامية » فى الاتحاد السوفييتى : طشقند ، وأزبكستان ، وتركستان ، وأذربيجان .. فهى عند التحقيق من صميم العالَم الإسلامى .

٤ - إن بعض ما يُعَدُّ فى الإحصاءات العالَمية المتحيزة أقلية إسلامية هو كذب على الواقع ، والأرقام الحقيقية تقول : إن المسلمين هم الأكثرية الساحقة ، رغم التزييف الإحصائى الذى يتعمد أبداً تقليل أعداد المسلمين ، وخصوصاً فى مناطق معينة ، لخدمة أهداف سياسية لأعداء المسلمين .

OBEIKAN.COM

وأبرز مثل على ذلك : المسلمون فى الحبشة ، فهم أغلبية عددية ، ولكنها أغلبية مقهورة ، محرومة من أبسط حقوق الإنسان .

* * *

● أهم ما تحتاج إليه الأقليات :

إن هذه الاقليات تحتاج من المسلمين فى داخل العالَم الإسلامى الكبير إلى أشياء كثيرة :

(أ) تحتاج إلى دعم المؤسسات الدينية عندها ، وخصوصاً التعليمية منها حتى تحافظ على بقاء الشخصية الإسلامية ، ولا سيما فى مواجهة الحملات المركّزة التى يقوم بها دعاة التنصير ومؤسساته ، والتى تريد أن تقتلع الوجود الإسلامى من جذوره .

(ب) تحتاج إلى الكتب الإسلامية الأصيلة التى تُعَرِّف بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً ، ومكتوبة بلغاتها الأصلية ، حتى تبين لهم ، وبخاصة تفسير القرآن الكريم ، وبعض ما لا بد منه من صحاح السُنَّة .

(جـ) تحتاج إلى قبول عدد من أبنائها فى الجامعات الإسلامية فى العالَم العربى ، ليعودوا إليها دعاة ومعلمين ومفقهين فى الدين ، ﴿ لِيُنْذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

وللأسف نجد هذه الجامعات فى السنوات الأخيرة طفقت تسد أبواب القبول أمام طلاَّب العلم من أبناء تلك البلاد ، مع خطورة ذلك على مستقبل تلك الأقليات ومستقبل الدعوة فيها ، ومستقبل الأمة كلها .

(د) تحتاج إلى دعم تعليم اللُّغة العربية ومعاهدها ومعلميها ، وهو ما قَصَّرَ فيه العرب كل التقصير ، مع أن الأمم الراقية تبذل عشرات الملايين ومئاتها من أجل نشر لغاتها التى هى ترجمان ثقافتها ، ووعاء حضارتها . والعرب يبخلون بأقل القليل فى سبيل نشر لغتهم . ولولا أن المسلمين بدافع حبهم لدينهم ونبيهم

---

(١) التوبة : ١٢٢

وكتابهم ، اقدموا من تلقاء أنفسهم على تعلم العربية ، وتأسيس المدارس ، والكليات لتعلمها ثم التعليم بها ، باعتبارها لغة القرآن والسُنَّة ولغة العبادة ، ووعاء الثقافة والحضارة الإسلامية ، ولسان التفاهم المشترك بين أبناء الأمة الإسلامية ، لولا ذلك ما وجدنا خارج العالَم العربى مَن يعرف العربية ، أو يشير إليها .

ولا يسعنى إلا أن أنوِّه هنا باتحاد المدارس العربية الذى يرأسه الأمير محمد الفيصل آل سعود ، ويقوم على توجيهه الدكتور توفيق الشاوى ، والذى عقد دورات متعددة ونافعة فى أنحاء متفرقة من بلدان آسيا وإفريقيا ، لدعم اللُغة العربية ، ومعلميها ومؤسساتها والنهوض بها .

(هـ) تحتاج إلى دعاة ومعلمين ، يعرفون لغاتها ، ويتكلمون بألسنتها ، ويقيمون بينهم ، ويتعايشون معهم ، يُعَلِّمون الجاهل ، ويُنَبِّهون الغافل ، ويفتون المستفتى ، ويثبتون المتردد ، ويردون الشارد ، ويجمعون الكلمة على الهُدى ، والقلوب على التُقى ، والمشاعر على الحب ، والعزائم على الخير .

وليُحذر من الدعاة الهدَّامين ، الذين لا يحملون معهم غير المعول للهدم ، والكبريت لإشعال النار ، والجدل لتفريق الصفوف ، وإيغار الصدور .

قد يكون بعض هؤلاء مخلصين ، ولكن الإخلاص مع الحمق يضر أكثر مما ينفع ، ويهدم أكثر مما يبنى ، ورُبَّ عدو عاقل ، أهون خطراً من صديق أحمق . وصدق الشاعر :

لكل داء دواء يُستَطَبُ به إلَّا الحماقة أعيت مَن يداويها !

(و) تحتاج إلى حضور متتابع من كبار الدعاة والمفكرين والمربين ، الذين تتفتح العقول ، وتنتعش الأنفس بوجودهم ، زائرين ، ما بين الحين والحين ، فى الندوات والمؤتمرات والمناسبات ، وكلما واتت الفرصة ، حتى لا يشعر هؤلاء

الإخوة الذين قُدِّر لهم أن يكونوا بعيداً عن قلب الأمة - أنهم منسيون من ذاكرة الأمة الكبرى ، أو معزولون عن بؤرة التفكير والإحساس من قادة الرأى والحركة فيها .

(ز) ومن أهم ما تجب العناية به مع الأقليات المسلمة : العمل على توحيد كلمتهم ، ولَمِّ شملهم ، وتكتيلهم فى جبهة واحدة ، حتى يمكنهم المحافظة على كيانهم المعنوى ، ووجودهم الدينى .

ومن المؤسف أن تجد الأقليات فى العالَم كله تتضام وتتكتل وتتعاون فيما بينها لتجعل من اتحادها قوة ، تواجه به قوة الأكثرية .. إلا الأقليات الإسلامية ، التى نراها مختلفة فيما بينها ، مبعثرة القُوَى بسبب خلافات كثيرٍ منها لا معنى له ، وبخاصة الخلافات الدينية حول مسائل الفقه أو الكلام .

والواجب أن يقف الجميع صفاً واحداً ، كما أمرهم اللّه ، وحسبهم أنهم مجتمعون على ما يصير به المسلم مسلماً ، وأنهم يؤمنون باللّه رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن كتاباً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

أقول هذا ، وأنا أعلم أن المسلمين يشكون فى أوطانهم الأم فى قلب دار الإسلام أى داخل العالَم الإسلامى ، ذاته ، فكيف لا تشكو الأقليات المسلمة خارج العالَم الإسلامى ، وخارج دار الإسلام ؟

وإذا كان المسلمون فى قلب أوطانهم يشكون الظلم والاضطهاد والتضييق والتنكيل من حكّام يُفترَض فيهم أنهم مسلمون ، فكيف لا يشكو الذين يعيشون بعيداً عن أوطان الإسلام ، ويحكمهم أناس غير مسلمين ، نصارى أو شيوعيون أو وثنيون ؟؟!!

* * *

● أمة بلا قيادة (لا خليفة ولا بابا) :

مشكلة المسلمين الكبرى ، وأقلياتهم المتناثرة فى العالَم ، أن أمتنا المسلمة - على ضخامتها وسعتها - ليست لها قيادة تملك أن تقول لها : تحركى أو توقفى ، اصرخى أو اصمتى ، سيرى إلى اليمين أو إلى اليسار .

فقد كان لنا خلافة تجمع المسلمين تحت راية العقيدة الإسلامية ، وكان لنا خليفة يمثل القيادة المركزية للأمة الواحدة ، فلما كاد الكائدون للخلافة ، ونجحوا فى تحطيم هذه القلعة العظيمة ، التى تُجَسِّد وحدة الأُمة المسلمة ، لم يعد لنا كيان واحد ، ولا راية واحدة يمكن أن نتلاقى تحت ظلها .

لقد فقدنا الخلافة ، وليس عندنا بديل لها ، فعشنا بغير قيادة من أى نوع

إن المسيحية لها قيادتها المعتَرف بها لدى أتباعها ، وهى قيادة دينية منظَّمة لها مؤسساتها ورجالها وماليتها التى تلى مالية أمريكا وروسيا ، ولها مبشِّروها المنتشرون فى أنحاء العالَم ومنها العالَم الإسلامى نفسه .

أما نحن المسلمين فليس لنا « خليفة » يأمر فيُطاع ، ولا « بابا » يقول فيُسمع ! إننا - كما قال المثل - أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام !

فى وقت من الأوقات كان هناك مَن يسميه الناس « شيخ الإسلام » وإن لم يكن فى الإسلام منصب رسمى بهذا المعنى ، ولكن بعض العلماء بعلمهم وعملهم ، وورعهم وجهادهم،استحقوا هذا اللَّقب من الجمهور المسلم . واليوم - بعد أن مشى العلماء فى رِكاب الحكَّام ، ولم يكتفوا بالسكوت عن الحق ، حتى نطقوا بالباطل - فقد الناس الثقة بكبار الشيوخ ، ولم يعد بينهم مَن يُشار إليه بالبنان أنه « شيخ الإسلام » ! ومَن استعصى من العلماء عليهم حاولوا بوسائلهم الكبيرة ، ووسائلِ سادتهم الذين يوجهونهم ، أن يعزلوه أو يشوِّهوه ، أو يورِّطوه فى مسايرتهم حتى يضربوا حجاباً بينه وبين الشعب .

* * *

● مهمة الحركة الإسلامية هنا :

وعلى الحركة الإسلامية أن تقوم هى مقام القيادة المركزية المفقودة للأمة المسلمة ، [illegible] وفضائلها ، وأن تستعين بشيوخ الإسلام الحقيقيين حتى يبرز [illegible] الإسلام » الحق ، الذى يدين له العلماء بالفضل والذى يمكنه أن ينادى الأمة الإسلامية الكبرى فى الشدائد والملمات فتلبى النداء ، وتستجيب الدعاء .

* * *

الحركة الإسلامية والمغتربون

وهناك فئة أخرى خارج العالم الإسلامى غير الأقليات ، وهم المغتربون الذين وفدوا من داخل الأقطار الإسلامية إلى بلاد الغرب فى أوروبا والأمريكتين ، وفى أستراليا ، وفى الشرق الأقصى .

● لماذا الاهتمام بالمغتربين ؟

وهؤلاء لم يعودوا فئة قليلة ، بل غدوا يُعَدون بالملايين وخصوصاً فى فرنسا ، لوجود أبناء شمال إفريقيا ، وإنجلترا ، لوجود أبناء الهند وباكستان وغيرهم ، وألمانيا ، لوجود أبناء تركيا ، وأمريكا ، لوجود المسلمين المخطوفين قديماً من إفريقيا ، وكثافة المهاجرين هناك أيضاً .

وفى سائر بلاد الغرب يوجد المغتربون الطارئون الذين سافروا للدراسة ، أو للعمل ، والمهاجرون الذين ينوون الإقامة والاستقرار هناك .

ورغم توصيات المؤتمرات الإسلامية المختلفة ، بوجوب قصر البعثات الدراسية على الجوانب العلمية والتكنولوجية التى لا يتوافر نظير لها فى بلادنا الإسلامية ، لا زالت بلاد الغرب تستقبل كل يوم قادمين جُدداً ، إما على حسابهم الخاص أو على حساب دولهم ، ولا زال هناك مَن يهاجر طلباً للرزق ، أو طلباً للأمن والحرية .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وقال الشاعر :

بـــلاد الله واسعة فضاها ... ورزق الله فـــى الدنيا فسيحُ !

فقل للقاعدين على هوان ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

---

(١) العنكبوت : ٥٦ .

وقد كان وجود الحركة الإسلامية فى ديار الغرب - فى أول الأمر - من تدبير القَدَر الأعلى ، ولم يكن من تخطيط الحركة . فقد هاجر الشباب فراراً بدينهم من الفتن الماحقة فى أوطانهم،طالبين للعلم ، وباحثين عن الحرية ، والأمان ، ثم وجدوا هناك مجالاً خصباً للعمل ، ونشر الدعوة بين زملائهم القادمين من الشرق ، مبعوثين وغير مبعوثين .

* * *

● ضرورة الوجود الإسلامى فى بلاد الغرب :

وأعتقد أن من الضرورى للإسلام فى هذا العصر أن يكون له وجود فى تلك المجتمعات المؤثرة على سياسة العالَم .

الوجود الإسلامى ضرورة فى أوروبا والأمريكتين وأستراليا من عدة أوجه :

ضرورة لتبليغ رسالة الإسلام ، وإسماع صوته ، ودعوة غير المسلمين إليه . بالكلمة والحوار والأُسوة .

وهو ضرورة لحضانة مَن يدخل فى الإسلام ومتابعته وتنمية إيمانه ، وتهيئة مناخ إسلامى يساعده على الحياة الإسلامية الصحية .

وهو ضرورة لاستقبال الوافدين و « المهاجرين » حتى يجدوا لهم « أنصاراً » يحبون مَن هاجر إليهم ويهيئون لهم جواً يتنفسون فيه الإسلام .

وهو ضرورة للدفاع عن قضايا الأُمة الإسلامية ، والأرض الإسلامية ، فى مواجهة القُوَى والتيارات المعادية والمضلِّلة .

ولا يحسن فى رأيى أن تكون النصرانية ، وحدها هى المالكة المتصرفة فى كل هذه الديار دون منازع ولا مشارك .

فإن شاركها أحد ، فهو اليهودية الصهيونية المتحالفة معها علينا .

وهذا ما قلته للإخوة منذ سنين فى أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها ...

ولكن هذا لا بد أن يتم هناك بتخطيط وتنظيم وفق فقه الأولويات ..

فلا بد من البحث عن المكان الأفضل ، والعمل الأفضل ، والأسلوب الأفضل .

ولا بد أن يكون للمسلمين تجمعاتهم الخاصة فى ولايات ومدن معروفة ، وأن تكون لهم مؤسساتهم الدينية ، والتعليمية ، بل والترويحية .

وأن يكون لهم علماؤهم وشيوخهم ، الذين يجيبونهم إذا سألوا ، ويرشدونهم إذا جهلوا ، ويوفقون بينهم إذا اختلفوا .

* * *

● محافظة دون انغلاق ، وانفتاح دون ذوبان :

وقد قلتُ للإخوة فى ديار الغُربة : حاولِوا أن يكون لكم مجتمعكم الصغير داخل المجتمع الكبير ، وإلا ذُبتم فيه كما يذوب المِلح فى الماء .

إن الذى حافظ على شخصية اليهود طوال التاريخ الماضى هو مجتمعهم الصغير المتميز بأفكاره وشعائره ، هو « حارة اليهود » فاعملوا على إيجاد « حارة المسلمين » .

لا أدعو إلى انغلاق على الذات ، وعزلة كاملة عن المجتمع ، فهذا والموت سواء ، ولكن المطلوب هو انفتاح دون ذوبان ، هو انفتاح صاحب الدعوة الذى يريد أن يفعل ويؤثر ، لا المُقَلِّد المستسلم الذى غدا كل همه أن يساير ويتأثر ، ويتبع سُنَن القوم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع !

إننا نشكو من مدة من نزيف العقول العربية والإسلامية ، من العقول المهاجرة من النوابغ والعبقريات فى مختلف التخصصات الحيوية والهامة ، التى وجدت لها مكاناً فى ديار الاغتراب ، ولم تجد لها مكاناً فى أوطانها .

فإذا كانت هذه حقيقة واقعة ، فلا يجوز لنا بحال أن ندع هذه العقول الكبيرة تفقد ولاءها لدينها وأمتها وتراثها ، ودارها ، ولا مفر لنا من بذل الجهد معها حتى تكون عقولها وقلوبها مع أوطانها وشعوبها ، مع أهليهم وإخوتهم وأخواتهم .

وإنما يتحقق ذلك إذا ظل ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، وظلت هموم أمتهم تؤرقهم ، ولم تشغلهم مصالحهم الخاصة عن قضايا أمتهم العامة .

وهذا هو واجب الحركة الإسلامية : ألاَّ تدع هؤلاء لدوامة التيار المادى والنفعى السائد فى الغرب ، تبتعلهم ، وأن يُذكَّروا دائماً بأصلهم الذى يحنون دائماً إليه .

وأعتقد أن المنظمات الطُلَّابية الإسلامية قد قامت بدور يُذكَر فيُشْكَر فى هذا الجانب طوال العقود الثلاثة الماضية ، بعد أن كان اليساريون ، والقوميون العلمانيون هم الذين يقودونها ويسيطرون عليها .

ولا يستطيع منصف أن ينسى فضل اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، وما قام به من جهود ، وما فتحه من فروع ، وما نظَّمه من مؤتمرات ، وما انبثق عنه من مؤسسات مثل رابطة علماء الاجتماع الإسلاميين ، وجمعية العلماء والمهندسين المسلمين ، والجمعية الطبية الإسلامية ، وغيرها .. وهى التى تمثلت فى الاتحاد الإسلامى فى أمريكا الشمالية « إسنا » . والآن تتجه النية إلى توطين الحركة فى أمريكا ، لتأخذ مكانها الطبيعى فى عالم يقوم على الحرية والتعددية .

* * *

● الواجبات الخمسة للمسلم المغترب :

وقد شاركتُ فى مؤتمرات اتحاد الطلبة لسنوات عدة ، فوجدت ما يشرح الصدر ، ويبهج النفس . ومثل ذلك جمعية الطلبة المسلمين ، واتحاد الجمعيات الإسلامية فى بريطانيا ومثلها فى عدد من بلدان أوروبا .

وفى لقاءاتى مع الإخوة المغتربين كنت أذكّرهم دائماً بواجبات خمسة :

١ - واجب المغترب نحو نفسه : أن يحفظها وينميها .

٢ - واجب المغترب نحو أهله وأسرته : أن يحميها من الذوبان ويقيمها على الإسلام .

٣ - واجب المغترب نحو إخوانه المسلمين : أن يتحد معهم ، ويكونوا جسداً واحداً .

٤ - واجب المغترب نحو المجتمع غير المسلم الذى يعيش فيه : أن يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥ - واجب المغترب نحو قضايا أمته المسلمة : أن يهتم لها ، ويعمل على نُصرتها .

* * *

● تحذير من أمرين :

أهم ما أُحذِّر منه أمران - النزعة العنصرية والإقليمية :

الأول النزعة العنصرية والإقليمية التى نراها -للأسف الشديد- بادية عند الفئات الإسلامية المختلفة ، إلا مَن رحم ربك ، فكل فئة تراها منغلقة على نفسها ، منعزلة عن غيرها من المسلمين .

حتى المساجد نراها تُنسب إلى هذه الفئة أو تلك ، ولا عجب أن تسمع حين تزور مدينة من المدن : إن هذا مسجد الأتراك ، وذاك مسجد المغاربة ، وثالث مسجد اليوغسلافيين ، ورابع مسجد الهنود ، أو الباكستانيين ، وآخر مسجد للعرب ، أو لطائفة منهم .

وفى أمريكا خاصة توجد مساجد للمسلمين السود .

OBEIKAN.COM

وما جاء الإسلام إلا ليُذيب الفوارق بين الناس ، ويحقق الإخوة والمساواة بينهم ، وما المساجد فى الإسلام إلا مصانع ربّانية للقيام بهذه المهمة ، فكيف تصبح عنواناً على التمييز والتفرقة ؟

صحيح أن الضرورة اللُّغوية هى التى اقتضت هذا بالنسبة للجيل الأول الذى لم يكن يعرف لغة المهجر ، ولا يُحسن الفهم إلا عن لغة الأم ، ولكن كان يمكن علاج هذا عن طريق دروس تُخصَّص لكل قوم داخل المسجد الجامع الواحد ، لفترة من الزمن ، حتى توجد لغة مشتركة يفهمها الجميع .

ولقد زالت هذه الضرورة فى كثير من الأحيان ، وبقى المسجد مملوكاً أو منسوباً لقوم معينين !

والواجب أن يكون المسجد مسجد المسلمين لا غير ، وأن يكون العنوان الذى يُظِل هؤلاء المغتربين هو الإسلام وحده ، وكفى به جامعاً .

والمسلمون فى الغُربة إنما تظهر قوّتهم إذا اتحدوا وتراصوا وتضاموا بعضهم إلى بعض ووضع كل فرد يده فى يد أخيه ، ووضعت كل مجموعة أيديها فى أيدى إخوانها ، والاتحاد يُقَوِّى القلة ، والتفرق يُضعف الكثرة ، والاتحاد مطلوب دائماً ، ولكنه ألزم ما يكون فى حالة الاغتراب ، التى يحتاج الإنسان فيها إلى مثله ، ليؤنس وحشته ، ويزيل وحدته كما قال الشاعر :

أيا جارتا إنّا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب !

نغمة التشدد وإثارة الخلاف :

الثانى - الذى أُحَذِّر منه هو نغمة التشدد وإثارة الخلاف على الجزئيات ، التى بدأت تظهر فى ديار الغرب وإن كان لها أصل من قبل .

فلا ينبغى للإخوة فى الشرق أن ينقلوا خلافاتهم إلى الغرب ، ولا أن يحملوا معهم مشكلاتهم القديمة ، ليُحيوها ويحيوا بها فى أرض الغُربة ، فالمكان غير المكان ، والزمان غير الزمان ، والناس غير الناس ، وقد حفظوا عن علمائهم : أن الفتوى تتغير بتغير المكان والزمان والإنسان ، فما لهم لا يطبقون ما تعلموه ؟!

منذ بضعة عشر عاماً زرتُ المركز الإسلامى فى مدينة لوس أنجلوس ، وسألنى بعض الإخوة منكرين : هل يجوز أن يكون المسجد موضعاً لعرض أفلام سينمائية ، وإن كانت تعليمية ؟

قلت : وماذا فى ذلك ؟ إذا كانت تُعَلِّم خيراً فهى عبادة ، والمسجد فى الإسلام جامع للعبادة ، وجامعة للعلم والثقافة .

وأكثر من ذلك أن الرسول ﷺ أتاح للحبشة أن يرقصوا بحرابهم فى مسجده الشريف ، وأتاح لزوجه عائشة أن تنظر إليهم وتتفرج عليهم حتى اكتفت ، وكان يشجعهم ويقول : « دونكم يابنى أرفده » !

وقال بعضهم : هل يجوز أن يُسمح للمرأة غير المُحَجَّبة بدخول المسجد فى يوم السبت أو الأحد ؟ أعنى أيام المحاضرات والدروس .

قلت : نعم ، وإذا قصرنا دخول المسجد على المُحَجَّبة الملتزمة ، فمتى وأين تسمع الأخرى كلمة الإسلام ، ومتى وأين تبلغها رسالة الله ؟ إننا إذا منعناها من المسجد ومحاضراته ودروسه ، فقدناها إلى الأبد ، ولم تبلغها الدعوة ، وإذا سمحنا لها أصبح أمامنا أمل كبير فى أن يهديها الله ، ويشرح صدرها للطاعة والالتزام بمنهج الله . ورَبَّ كلمة صادقة فتح الله بها قلباً ، بل قلوباً .

وقد وصلنى ، وأنا أبعث بهذا الكتاب للمطبعة تقرير أو رسالة من الأخ الجليل الطبيب العالِم الشاعر الداعية الموفق الدكتور حسان حتحتوت ، يشرح فيها بعض ما يقوم به المركز من أعمال ، وما يتحمله من أعباء ، للمسلمين ولغير المسلمين ، وهى رسالة تنشرح بها صدور المؤمنين . وتدل على أن الإسلام بخير إذا وجد رجالاً يجمعون بين حسن الفهم وصدق النية .

* * *

OBEIKAN.COM

الحركة وقضايا الحرية السياسية والديمقراطية

والواجب على الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة : أن تقف أبداً فى وجه الحكم الفردى الدكتاتورى ، والاستبداد السياسى ، والطغيان على حقوق الشعوب ، وأن تكون دائماً فى صف الحرية السياسية المتمثلة فى الديمقراطية الصحيحة غير الزائفة ، وأن تقول بملء فيها للطغاة : لا ، ثم لا . ولا تسير فى ركاب دكتاتور متسلط وإن أظهر وده لها ، لمصلحة موقوتة ، ولمرحلة لا تطول عادة ، كما هو المجرَّب والمعروف .

إن الحديث النبوى يقول : « إذا رأيتَ أمتى تهاب أن تقول للظالم : يا ظالم، فقد تُودِّعَ منهم » فكيف بنظام حكم يقهر الناس على أن يقولوا للظالم المتجبر : ما أعدلك وما أعظمك ، أيها البطل ، والمنقذ ، والمحرِّر ؟!

إن القرآن أعلن حملة نارية على الطغاة المتألهين فى الأرض من أمثال نمروذ وفرعون وهامان وغيرهم ، ولكنه ذَمَّ معهم مَن يتبعونهم ويدورون فى فلكهم ، ولهذا ذَمَّ اللّه قوم نوح بقوله : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً ﴾ (١) .

وذم عاداً قوم هود بقوله : ﴿ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٢) .

وقال عن ملإ فرعون : ﴿ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٣) .

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) نوح : ٢١ (٢) هود : ٥٩

(٣) هود : ٩٧ (٤) الزخرف : ٥٤

والمتتبع لتاريخ الأمة الإسلامية والحركة الإسلامية فى العصر الحديث ، يتبين له بجلاء : أن الفكرة الإسلامية ، والحركة الإسلامية ، والصَحْوَة الإسلامية ، لا تتفتح أزهارها ، ولا تنبت بذورها ، ولا تتعمق جذورها ، أو تمتد فروعها،إلا فى جو الحرية ، ومناخ الديمقراطية .

وما خرس لسانها ، ولا كتمت أنفاسها ، ولا اختفت ازاهيرها : إلا فى مناخ القهر والاستبداد والطغيان ، الذى حطَّم إرادة الشعوب المتشبثة بالإسلام وفرض عليها علمانيته أو اشتراكيته أو شيوعيته بالحديد والنار . بالتعذيب خفية ، والشنق جهرة ، بالأدوات الجهنمية التى تنهش اللَّحم ، وتشرب الدم ، وتسحق العظم ، وتدمر النفس !

رأينا ذلك فى أقطار إسلامية متعددة،فى تركية ، ومصر ، والشام ، والعراق ، واليمن الجنوبى ، والصومال ، وشمال إفريقيا ، فى فترات مختلفة ، تقصر أو تطول تبعاً لطول عمر الدكتاتور ، أو حكم الدكتاتور .

ورأينا مقابل ذلك انتعاش الدعوة والحركة والصَحْوَة فى مناخ الحرية والديمقراطية السياسية ، وعقب انهيار الأنظمة الطغيانية المسلَّطة على رقاب العباد بالإرهاب والجبروت .

لهذا لا أتصور أن يكون موقف الحركة الإسلامية إلا مع الحرية والديمقراطية السياسية .

لقد سمح الطغاة لكل صوت أن ينطلق إلا صوت الإسلام ، وأذنوا لكل تيار أن يُعَبِّر عن نفسه فى صورة حزب أو هيئة سياسية إلا التيار الإسلامى ، الذى هو المُعَبِّر الحقيقى والوحيد عن ضمير الأمة ، وعن عقيدتها وقيمها وجوهر وجودها .

ولكن بعض الإسلاميين لا زال يتحفظ على الديمقراطية ، بل يتخوَّف من مجرد كلمة « ديمقراطية » .

والذى أود قوله وتأكيده هنا : أن الإسلام ليس هو الديمقراطية ، ولا الديمقراطية هى الإسلام ، وما أحب أن يُنسب الإسلام إلى أى مبدأ أو نظام آخر ، فهونسيج وحده فى غاياته وفى مناهجه ووسائله . وما أحب أن ننقل الديمقراطية الغربية بعجرها وبجرها دون أن نُضفى عليها من قيمنا وفكرنا ، ما يجعلها جزءاً من نظامنا المتكامل

ولكن الأدوات والضمانات التى وصلت إليها الديمقراطية هى أقرب ما تكون إلى تحقيق المبادىء والأصول السياسية التى جاء بها الإسلام لكبح جماح الحكّام ، وهى : الشورى ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ورفض الطاعة عند الأمر بمعصية ، ومقاومة الكفر البواح ، وتغيير المنكر بالقوة عند الاستطاعة ، فهنا تبرز قوة السلطة النيابية القادرة على سحب الثقة من أية حكومة تخالف الدستور ، وكذلك قوة الصحافة الحرة ، والمنبر الحر ، وقُوَى المعارضة ، وصوت الجماهير .

وما تخوّفه البعض هنا أن الديمقراطية تجعل الشعب مصدراً للسلطات ، حتى التشريعية منها ، مع أن التشريع للّه وحده - لا ينبغى أن يُخاف هنا لأن المفترض أننا نتحدث عن شعب مسلم فى أغلبيته ، فقد رضى باللّه رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، فلا يُتصور منه أن يصدر تشريعاً يخالف قطعيات الإسلام ، وأصوله المحكمات .

على أن هذا التخوف يمكن أن يُزال بمادة واحدة تنص على أن أى تشريع يخالف الأصول القطعية للإسلام يعتبر باطلاً . فالإسلام هو دين الدولة ، ومصدر المشروعية العليا لكل مؤسساتها ، ولا يجوز أن يصدر قانون يخالفه،لأن الفرع لا يخالف الأصل .

وينبغى أن يُعلم أن إقرار مبدأ : أن التشريع أو الحاكمية للّه تعالى لا يسلب الأمة سلطانها فى الاجتهاد لنفسها فى التقنين لحياتها وشؤونها الدنيوية المتطورة .

إنما المقصود أن يكون التشريع أو التقنين فى إطار النصوص المعصومة ، والمقاصد الكلية للشريعة وللرسالة الإسلامية ، والنصوص الملزمة قليلة جداً ، ومنطقة « العفو » أو الفراغ التشريعى ، جد واسعة ، والنصوص نفسها من السعة والمرونة بحيث تتسع لأكثر من فهم ، وأكثر من تفسير ، ومن ثَمَّ تتعدد المشارب والمذاهب والآراء داخل إطار الإسلام الرحب .

وقد تتبعتُ بعض القوانين الصادرة حديثاً فى دولة قَطر ، فوجدتها تشتمل على عشرات المواد ، تعتمد على تحقيق المصالح ، ودرء المفاسد ، وقلّما يوجد للنصوص مدخل إليها ، إلا فى مادة أو مادتين .

إن الخطر الأكبر على الأمة الإسلامية ، وعلى الحركة الإسلامية ، هو حكم الفراعنة الذين يرون أن رأيهم هو الصواب الذى لا يحتمل الخطأ ، والرشاد الذى لا يجامع الغى ، على طريقة فرعون مصر ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١) . وكل رأى معارض مرفوض بل متهم ، على طريقة قوله فى شأن موسى : ﴿ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الفَسَادَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) غافر : ٢٩

(٢) غافر : ٢٦

الحركة الإسلامية والأقليات العِرقية والدينية

ومما ينبغى على الحركة أن تحسمه : موقفها من الاقليات الدينية والعِرقية في وطننا العربى والإسلامي .

● مشكلة الأقليات العِرقية محلولة فى ظل الإسلام :

أما الأقليات العِرقية فلا تُكوِّن مشكلة فى ظل النظام الإسلامى الذى تدعو إليه .

فالإسلام يستوعب العناصر المختلفة،ويضمها فى رحابه فى ظل العقيدة الواحدة ، والقِبلة الواحدة ، والإخوة الواشجة .

فالمسلمون - فى نظر الإسلام - أمة واحدة ، أياً كانت عروقهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم ، عرباً كانوا أو عجماً ، أو بربراً أو أكراداً ، أو أتراكاً أو هنوداً أو أى جنس كانوا ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويُجير عليهم أقصاهم ، وهم يدٍ على مَن سواهم ، وهم كما وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢) .

ومكانة سيدنا سلمان الفارسى ، وسيدنا بلال الحبشى ، وسيدنا صهيب الرومى لدى المسلمين فى كل العصور ، لا تخفى على أحد .

---

(١) الحجرات : ١٠ (٢) الحجرات : ١٣

OBEIKAN.COM

ومكانة العلماء من الموالى الذين خدموا الإسلام والعربية ، لا يجادل فيها دارس لتاريخ الإسلام ، من أمثال الحسن البصرى وابن سيرين وعطاء وسعيد ابن جبير وأبى حنيفة والبخارى ، ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وسيبويه وغيرهم من الأئمة الأعلام ، وعباقرة الإسلام .

وهؤلاء وإن كانوا فى الأصل عجماً ، فقد عرَّبهم الإسلام حين عرَّب ألسنتهم ، فتكلموا وكتبوا وصنَّفوا بلغة القرآن ، وقد جاء فى الحديث الذى رواه ابن عساكر : « ألا إن العربية من أحدكم ليست بأب ولا أم ، ولكن العربية اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » .

ومن لم يُعَرِّب الإسلام لسانه من المسلمين الاكراد والبَربَر والعجم ، والماليزيين وغيرهم ، فقد عرَّب فكره وقلبه ، عن طريق الثقافة الإسلامية ، بل عن طريق الإسلام نفسه ، الذى حمله العرب إلى قومه من قديم ، وهداهم الله بهم إلى الصراط المستقيم وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

فكل مسلم يحب لغة العرب ؛ لأنها لغة القرآن والسُنَّة والعبادة ، ويحب أرض العرب ؛ لأن فيها المسجد الحرام والمسجد النبوى ، ومثوى رسول الله ﷺ ، ويحب العرب أنفسهم ، لأنهم عَصَبة رسول الله ﷺ وعَصَبة الإسلام ، وحَمَلته إلى العالَم ، ولهذا جاء فى الأثر : « إذا عَزَّ العرب عَزَّ الإسلام ، وإذا ذل العرب ذل الإسلام » !

لا توجد إذن مشكلة عِرقية فى إطار النظرة الإسلامية ، بل هى العلاج الفذ لها .

أما إذا نادى العرب بقومية عربية مفصولة عن الإسلام ، فسينادى الأكراد بقومية كردية ، وينادى البَربَر بقومية بربرية ، وينادى الأتراك بقومية طورانية ، وهكذا تتمزق الأمة الواحدة ، بل القُطر الواحد ، بين هذه النزغات العصبية التى

تميزت بها الجاهلية ، واستبدل بها الإسلام الإخوة الإسلامية ، وبرىء الرسول الكريم من كل مَن دعا إلى عصبية ، أو قاتَلَ على عصبية ، أو مات على عصبية .

* * *

● كيف تُحَل مشكلة الأقليات الدينية ؟

أما المشكلة التى يجب أن تعالج هنا فهى مشكلة الأقليات الدينية ، أو ما سميناه فى دراسة لنا « غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى » .

إن هذه القضية يجب أن تُحَلَّ فى ضوء المصارحة والمكاشفة بالحقائق لا بالمراوغة والنفاق السياسى .

وقد كتبتُ عن موقف الحل الإسلامى من هذه الأقليات فى الجزء الثالث من « حتمية الحل الإسلامى » ، ولا أستطيع أن أعيد هنا ما كتبته هناك .

وكل ما يمكن قوله هنا يتلخص فى النقاط التالية :

١ - لا وجه لدعوى بعض الناس - وجله من العلمانيين الذين لا يوالون الإسلام ولا المسيحية : أن الاتجاه إلى الحل الإسلامى والشرع الإسلامى ينافى مبدأ الحرية لغير المسلمين ، وهو مبدأ مقرَّر دولياً وإسلامياً ، فقد نسوا أو تناسوا أمراً أهم وأخطر ، وهو أن الإعراض عن الشرع الإسلامى والحل الإسلامى من أجل غير المسلمين - وهم أقلية - ينافى مبدأ الحرية للمسلمين فى العمل بما يوجبه عليهم دينهم ، وهم أكثرية .

وإذا تعارض حق الأقلية وحق الأكثرية فأيهما نُقَدِّم ؟

إن منطق الديمقراطية - التى يؤمنون بها ويدعون إليها - أن يُقَدَّم حق الأكثرية على حق الأقلية .

هذا هو السائد فى كل أقطار الدنيا ، فليس هناك نظام يرضى عنه كل الناس ، فالناس خُلِقوا متفاوتين مختلفين . وإنما بحسب نظام ما أن ينال قبول

الأكثرية ورضاهم ، بشرط ألا يحيف على الأقلين ويظلمهم ويعتدى على حرماتهم ، وليس على المسيحيين ولا غيرهم بأس ولا حَرَج أن يتنازلوا عن حقهم لمواطنيهم المسلمين ليحكموا أنفسهم بدينهم ، وينفذوا شريعة ربهم حتى يرضى الله عنهم .

ولو لم تفعل الأقلية الدينية ذلك ، وتمسكت بأن تنبذ الأكثرية ما تعتقده ديناً يعاقب الله على تركه بالنار ، لكان معنى هذا أن تفرض الأقلية ديكتاتورية على الأكثرية ، وأن يتحكم مثلاً ثلاثة ملايين أو أقل فى أربعين مليوناً أو أكثر . وهذا ما لا يقبله منطق دينى ولا علمانى .

٢ - وهذا على تسليمنا بأن هنا تعارضاً بين حق الأكثرية المسلمة وحق الأقلية غير المسلمة .

والواقع أنه لا تعارض بينهما .

فالمسيحى الذى يقبل أن يُحكمَ حكماً علمانياً لا دينياً ، لا يضيره أن يُحكَم حكماً إسلامياً .

بل المسيحى الذى يفهم دينه ويحرص عليه حقيقة ، ينبغى أن يُرَحِّب بحكم الإسلام ، لأنه حكم يقوم على الإيمان بالله ورسالات السماء ، والجزاء فى الآخرة . كما يقوم على تثبيت القيم الإيمانية ، والمُثل الأخلاقية ، التى دعا إليها الأنبياء جميعاً ، ثم هو يحترم المسيح وأمه والإنجيل ، وينظر إلى أهل الكتاب نظرة خاصة ، فكيف يكون هذا الحكم - بطابعه الرَّبانى الأخلاقى الإنسانى - مصدر خوف أو إزعاج لصاحب دين يؤمن بالله ورُسُله واليوم الآخر ؟ على حين لا يزعجه حكم لا دينى علمانى يحتقر الأديان جميعاً ، ولا يسمح بوجودها - إن سمح - إلا فى ركن ضيق من أركان الحياة ؟!

من الخير للمسيحى المخلص أن يقبل حكم الإسلام ، ونظامه للحياة ، فيأخذه على أنه نظام وقانون ككل القوانين والأنظمة ، ويأخذه المسلم على أنه دين يُرضى به ربه ، ويتقرب به إليه .

ومن الخير للمسيحيين - كما قال الأستاذ حسن الهضيبى رحمه الله - أن يأخذه المسلمون على أنه دين ، لأن هذه الفكرة تعصمهم من الزلل فى تنفيذه ، وعين الله الساهرة ترقبهم ، لا رهبة الحاكم التى يمكن التخلص منها فى كثير من الأحيان [1] .

ومن هنا رحّب العقلاء الواسعو الأفق من المسيحيين بالنظام الإسلامى بوصفه السد المنيع فى وجه المادية الملحدة التى تهدد الديانات كلها على يد الشيوعية العالمية كما نقلنا ذلك من كلام العلاّمة فارس الخورى .

وأود أن أصحح هنا خطأ يقع فيه كثيرون ، وهو الظن بأن القوانين الوضعية المستوردة من الغرب المسيحى قوانين لها رحم موصولة بالمسيحية ، فهذا خطأ مؤكد ، والدارسون لأصول القوانين ومصادرها التاريخية يعرفون ذلك جيداً . بل الثابت بلا مراء أن الفقه الإسلامى أقرب إلى المسيحية والمسيحيين فى أوطاننا من تلك القوانين ، لأصوله الدينية من ناحية ، ولتأثره بالبيئة المحيطة التى هم جزء منها .

٣ - والادعاء بأن سيادة النظام الإسلامى فيه إرغام لغير المسلمين على ما يخالف دينهم ، إدعاء غير صحيح .

فالإسلام ذو شُعَب أربع : عقيدة ، وعبادة ، وأخلاق ، وشريعة ، فأما العقيدة والعبادة فلا يفرضها الإسلام على أحد .

وفى ذلك نزلت آيتان صريحتان حاسمتان من كتاب الله : إحداهما مكية والأخرى مدنية ، فى الأولى يقول تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ : ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

وفى الثانية يقول سبحانه فى أسلوب جازم : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ [3] .

---

(١) من رسالة « دستورنا » للأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام السابق للإخوان المسلمين .

(٢) يونس : ٩٩ (٣) البقرة : ٢٥٦

وجاء عن الصحابة فى أهل الذِّمة : « اتركوهم وما يدينون » .

ومنذ عهد الخلفاء الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم ويقيمون شعائرهم ، فى حرية وأمان ، كما هو منصوص عليه فى العهود التى كُتِبَت فى عهد أبى بكر وعمر ، مثل عهد الصُلح بين الفاروق وأهل إيلياء (القدس) .

ومن شدة حساسية الإسلام أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين ، لما لهما من صبغة دينية ، باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى - مع أن الزكاة ضريبة مالية ، والجهاد خدمة عسكرية - وكلّفهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرؤس ، أعفى منها النساء والأطفال والفقراء والعاجزين وهى ما سمى « الجِزية » .

ولئن كان بعض الناس يأنف من إطلاق هذا الاسم ، فليسموه ما يشاءون . فإن نصارى بنى تغلب من العرب طلبوا من عمر أن يدفعوا مثل المسلمين صدقة مضاعَفة ولا يدفعوا هذه الجِزية،وقَبِلَ منهم عمر ، وعقد معهم صُلحاً على ذلك ، وقال فى ذلك : هؤلاء القوم حمقى ، رضوا بالمعنى ، وأبوا الاسم ! [1] .

أما شُعْبة الأخلاق فهى - فى أصولها - لا تختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض .

بقيت شُعْبة الشريعة بالمعنى الخاص : معنى القانون الذى يُنَظِّم علائق الناس بعضهم ببعض : علاقة الفرد بأُمته ، وعلاقته بالمجتمع ، وعلاقته بالدولة ، وعلاقة الدولة بالرعية ، وبالدول الأخرى .

فأما العلاقات الأُسرية فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك ، فهم مخيَّرون بين الاحتكام إلى دينهم والاحتكام إلى شرعنا ، ولا يُجبَرون على شرع الإسلام .

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامه جـ ٩ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ط . مطبعة العاصمة ، شارع الفلكى بالقاهرة .

فمن اختار منهم نظام الإسلام فى المواريث مثلاً - كما فى بعض البلاد العربية - فله ذلك ، ومَن لم يرد فهو وما يختار .

وأما ما عدا ذلك من التشريعات المدنية والتجارية والإدارية ونحوها فشأنهم فى ذلك كشأنهم فى أية تشريعات أخرى تُقتبَس من الغرب أو الشرق ، وترتضيها الأغلبية .

ومن هنا كان لأهل الذِّمة محاكمهم الخاصة يحتكمون إليها إن شاءوا وإلاَّ لجأوا إلى القضاء الإسلامى ، كما سجَّل ذلك التاريخ .

وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونه فى دينهم واجباً ولا على فعل أمر يرونه عندهم حراماً ، ولا على اعتناق أمر دينى لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم .

كل ما فى الأمر أن هناك أشياء يحرِّمها الإسلام مثل الخمر والخنزير وهم يرونها حلالاً ، والأمر الحلال للإنسان سعة فى تركه ، فللمسيحى أن يدع شرب الخمر ولا حَرَجَ عليه فى دينه ، بل لا أظن ديناً يشجع شرب الخمور ويبارك حياة السُكْر والعربدة . وكل ما فى كتبهم : أن قليلاً من الخمر يصلح المعدة [1] ولهذا اختلف المسيحيون أنفسهم فى موقفهم من الخمر والسُكْر .

وكذلك بوسع المسيحى أن يعيش عمره كله ولا يأكل لحم الخنزير فأكله ليس شعيرة فى الدين ، ولا سُنَّة من سُنَن النبيين ، بل هو محرَّم فى اليهودية قبل الإسلام . ومع هذا نرى جمهرة من فقهاء الإسلام أباحوا لأهل الذِّمة من النصارى أن يأكلوا الخنزير ، ويشربوا الخمر ويتاجروا فيهما فيما بينهم،وفى القُرَى التى تخصهم ، على ألا يُظهروا ذلك فى البيئات الإسلامية ولا يتحدُّوا مشاعر المسلمين .

وهذه قمة فى التسامح لا مثيل لها [2] .

* * *

(١) هو من أقوال بولس ، وليس من قول المسيح عليه السلام .

(٢) انظر : فصل « الأقليات الدينية والحل الإسلامى » من كتابنا « بيِّنات الحل الإسلامى وشبهات العلمانيين والمتغربين » .

الحركة الإسلامية والحوار مع الآخرين

على الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة ألا تنحصر فى خطابها لنفسها ، بل توسع أفقها لتخاطب غيرها .

فكثير من المفكرين والكُتّاب الإسلاميين يكتبون لأنفسهم ، أعنى لمن يسير فى خطهم ، ويدعو بدعوتهم ، فهم لا يتجاوزون خطاب بعضهم لبعض ، كأنما لا يوجد فى الدنيا غيرهم ! فإن خرجوا من هذه الدائرة كتبوا للفصائل الإسلامية الأخرى ، التى تشاركهم الالتزام بالإسلام والدعوة إليه ، وإن خالفتهم فى المنهج والوسائل والكثير من المفاهيم .

فإن تجاوزوا ذلك خاطبوا جماعة المتدينين ، وإن لم ينتموا لأى جماعة أو حركة .

وأولى بالحركة بعد أن بلغت أشدها ، واتسعت قاعدتها : أن توجه خطابها إلى المخالفين لها فى الفكر ، والاتجاه ، ولا تدعهم فى ضلالهم القديم ، وجهلهم الموروث ، وسوء ظنهم ، بالإسلام ودُعاته ، دون أن تُقدِّم لهم أى شمعة أو مشعل يضىء على الطريق .

لقد آن للحركة الإسلامية أن تدع الانغلاق على الذات ، وتخرج من القوقعة ، وتعتبر كل المفكرين المسلمين منها ولها ، وتخوض بهم ومعهم لجة الحوار مع كل الأطراف المخالفة ، بل حتى المعادية والحاقدة ، فلعل الحوار العلمى الهادىء الهادف يجعل المتردد يقتنع ، والخائف يطمئن ، والمتوتر يهدأ ، حتى الحاقد والمعادى قد يخفف من حقده وعداوته . والله تعالى يقول : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

---

(١) الممتحنة : ٧

أذكر أننى منذ سنوات دعيتُ إلى المشاركة فى ندوة « الصَحْوَة الإسلامية وهموم الوطن العربى » التى نظمها « منتدى الفكر العربى » فى العاصمة الأردنية « عمان » .

وقد دُعىَ إلى هذه الندوة مسلمون ونصارى وشيوعيون وقوميون من مختلف الفصائل والاتجاهات .

وكان من رأى بعض الإخوة والزملاء الذين حدثتهم فى أمر هذه الندوة ألا أذهب اليها ولا أشارك فيها ، حتى لا يُستغل اسمى ووجودى فى إضفاء الشرعية على مثل هذه الندوات ، التى لا تلتزم الخط الإسلامى الصحيح .

ولكنى لم أستجب لهذه التخوفات والوساوس ، التى تتوجس من كل شىء ، ولبيتُ الدعوة وأعددت بحثى الذى نُشرَ فى كتاب مستقل بعد ذلك ، وكان لمشاركتى ومشاركة عدد من الإسلاميين مثل الدكتور الترابى ، وفهمى هويدى ، وكامل الشريف ، أكبر الأثر فى إسماع صوت الفكر الإسلامى ممثلاً فى تيار الوَسَطية الإسلامية ، الذى أؤمن به وأدعو إليه ، ورغم قلة عدد الإسلاميين كان تأثيرهم أقوى ، وصوتهم أعلى .

ومما لا أنساه ما ذكره لى بعض الإخوة المشاركين وهو نصرانى قومى ، فقد قال لى ونحن على مائدة الغداء : لقد غيرنا فكرتنا عنك على طول الخط . قلت: وماذا كانت فكرتكم ؟ قال : أنك متعصب متشدد ! قلت : ومن أين جاءتكم هذه الفكرة عنى ؟ قال : لا أدرى ، ولكن هذا كان انطباعنا عنك ورأينا فيك بصراحة . قلت : والآن ؟ قال : عرفنا بالسماع والمشافهة والمشاهدة والاحتكاك المباشر ما نسف تلك الفكرة الظالمة التى كوّناها عنك من قبل . فقد وجدنا فيك رجلا يحترم المنطق ، ويُحَكِّم العقل ، ويستمع إلى وجهات النظر المخالفة ، لا يتزمت ولا يتشنج ، بل فاق غيره فى المرونة والتسامح،إلى آخر ما قال .

المهم من هذه القصة أن اللّقاء المباشر والأخذ والعطاء والحوار المتكافىء فى حكمة وسماحة ، هو فى صالح الحركة الإسلامية ، فهى تربح من ورائه ولا تخسر ، وتتقدم ولا تتأخر .

وهذا ما لمسته فى سائر اللّقاءات التى تضم إسلاميين وغير إسلاميين ، وآخرها ندوة الجزائر عن « قضايا المستقبل الإسلامى » .

ومن هنا نقول :

ينبغى على الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة أن يكون شعارها : مرحباً بالحوار مع الأخرين .

ونعنى بالآخرين : المخالفين للحركة فى أهدافها أو فى وسائلها ، أو فى مواقفها وأطروحاتها ، أو حتى فى أصل عقيدتها .

فعليها أن تفتح صدرها للحوار مع كل المخالفين ، ولمزيد من الحوار مع الذين بدأت معهم حواراً من قبل .

وينبغى للحركة أن تحشد معها كل القُوَى الإسلامية التى تتفق معها فى الأصول الكلية ، والقضايا الأساسية ، من منظمات وأفراد ، لهم وزن فكرى وعلمى .

والقرآن يأمرنا بالحوار مع المخالفين ، لا أن ندعهم وننفض أيدينا منهم ، ونعيش فى حدود أنفسنا ، يقول تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

كل ما اشترطه القرآن هنا : أن يكون الجدال - الحوار - بالتى هى أحسن ، أى بأحسن الأساليب وأفضلها وصولاً إلى إقناع العقل ، وإيقاظ القلب . ومن روائع التعبير القرآنى هنا : أنه اكتفى فى الموعظة بأن تكون حسنة ، ولم يرض فى الجدال - أو الحوار - إلا أن يكون بالتى هى أحسن : لأن الموعظة تكون مع الموافق ، والجدال مع المخالف ، فلا بد أن يُستَخدم معه أفضل الوسائل .

* * *

---

(١) النحل : ١٢٥

الحوار مع العقلاء من العِلمانيين

ومن هذا الحوار المطلوب : الحوار مع العِلمانيين ، أعنى مع العقلاء المنصفين منهم ، المستعدِّين لأن يسمعوا من الإسلاميين وأن يفهموا عنهم ماذا يريدون وإلام يدعون ؟

إن هؤلاء العِلمانيين مسلمون فى الأصل ، ولا زال كثير منهم يعتز بأنه مسلم ، وبعضهم حريص على إقامة الشعائر ، فهو يُصَلِّى ويصوم ، وربما يحج ويعتمر .

ولكن مشكلته أنه لم يعرف الإسلام معرفة صحيحة - كما هى مشكلة كثير من المثقفين الذين تحدثنا عنهم من قبل - فهو لم يُتح له أن يستقى تعاليم الإسلام من ينابيعها الصافية ، ولا أن يلتقى بالعلماء والمفكرين الثقات . بل أخذ الإسلام عن المستشرقين أو المبشِّرين أو تلاميذهم ، أو كوَّن فكرة عن الإسلام من خلال حال المسلمين وما أسوأها ، أو مما قرأه أو سمعه لبعض الغلاة أو المنحرفين من المنتسبين إلى الإسلام .

المهم أن ظروف نشأته وتعليمه ومسيرة حياته لم تهيىء له أن يعرف الإسلام نقياً خالصاً من الشوائب التى لحقت به قديماً وحديثاً ، من سوء الفهم ، وسوء التطبيق ، وسوء الاستغلال .

كما أن بريق الحضارة الغربية وقد كانت فى أوج مجدها وتألقها ، إلى جوار الظلام الذى كان مخيماً على العالَم الإسلامى ، الذى هوى إلى الحضيض فى شتَّى مجالات الحياة ... كل ذلك أعطاه بعض العذر فى أن يسىء الظن بالإسلام وشريعته ومنهاجه للحياة ، وأن يرى الخلاص والنهوض فى اتباع ما صنعه الغرب عندما أراد أن ينهض ، حيث تحرر من الدين ومؤسساته ورجاله ، وانطلق بالعلم والفكر يبنى ويبتكر وينتج ويبدع ، حتى سخَّر قُوَى الطبيعة لخدمة الإنسان ورفاهية الإنسان .

لقد بدأنا الحوار مع العِلمانيين منذ سنوات (صيف سنة ١٩٨٥) فى الندوة التاريخية التى عُقِدَت فى دار الحكمة بالقاهرة ، ومثَّلَ الإسلاميين فيها فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، والفقير إليه تعالى ، ومثَّل العِلمانيين الدكتور فؤاد زكريا ، الذى استجاب دون الآخرين للدعوة التى وجهتها نقابة الأطباء .

ولقد كانت هذه الندوة موضع اعتناء واحتفاء من الصحافة والكتَّاب والمهتمين ، لما تدل عليه من أهمية التحاور بين الأطراف المختلفة من أبناء الوطن الواحد .

وقد ذكر الكثيرون من الكتَّاب - منهم الأستاذ فهمى هويدى - جوانب وثماراً إيجابية لهذا اللِّقاء ، أقربها أن يستمع كل فريق إلى الآخر استماعاً مباشراً .

ولكن عيب هذا اللِّقاء فى نظرى : أنه ظهر فى صورة مناظَرة بين دعاة الإسلام ودعاة العِلمانية . لا فى صورة حوار .

والمناظَرة تعطى الجو حرارة واشتعالاً ، وخصوصاً مع الحضور المكثَّف للجماهير .

كما أن الذى مثَّل العِلمانيين فى هذا الحوار ، رجل مكابر ، وليس لديه أدنى قدر من المرونة والتسامح والتواضع ، تجعله يصغى ويفهم ما لدى الطرف الذى يحاوره ، ويتعلم منه شيئاً عن حقائق الإسلام الذى يدعو إليه ، والذى يجهله هو كل الجهل للأسف الشديد .

وقد شعر بضعف موقفه ، وسقوط حجته فى الندوة ، فراح إلى الصحف التى يكتب فيها ، يكيل التهم للجمهور عامة ، وللإسلاميين خاصة ، ولى على الأخص .

هذا ما اضطرنى إلى أن أرد عليه وأبيِّن الموقف من جذوره فى كتاب « الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه » .

وأؤكد هنا أن الذى أدعو إليه هو « الحوار » وليس « المناظَرة » . إن كلمة المناظَرة توحى بالتحدى ، وإرادة الغلبة ، ومحاولة كل طرف أن يصيب الآخر فى مقتل .

وأحسب أن هذا لا يفيد كثيراً ، وقلّما يرجع أحد الطرفين عن موقفه ، أو يتزحزح عن موقعه ، نتيجة المناظَرة ، وربما تزيده إصراراً وتعصباً لما هو عليه .

قد تُقبل المناظَرة إذا أُحرج الطرف الإسلامى ، وتحدّاه الآخرون ، ولم يعد أمامه مخرج إلا أن يستجيب للتحدى ، حتى لا يُتهم بالفرار من المواجهة ، والهرب من المعركة .

لكن الأصل هو الحوار بالحُسنى ، الذى سمّاه القرآن « الجدال بالتى هى أحسن » ، وقد ذكرتُ شيئاً من أدب هذا الحوار فى كتابنا « الصَحْوَة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم » فليُرجع إليه .

* * *

OBEIKAN.COM

الحوار مع عقلاء الحُكَّام

ومن الحوار المقبول والمطلوب : الحوار مع العقلاء من حكَّام المسلمين . الذين لا يقفون من الإسلام موقفاً عقائدياً معادياً ، فهؤلاء العقائديون المعادون لا خير فيهم ، ولا رجاء منهم . وهم لا يرضيهم إلا انحسار الإسلام أو زواله بالكلية : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

ولكن هناك نوع من الحكَّام لا يكره الإسلام ، بل يخافه ، وكثيراً ما يكون هذا الخوف ناشئاً من الجهل بحقائق الإسلام ، وأحكام شريعته ، وخصائص دعوته ، وكثير منهم معذورن إلى حد ما ، فى هذا الجهل ، فلم يُتَح له أن يعرف الإسلام من مصادره النقية ، ولا أن يأخذه من علمائه الثُقات . ككثير من المثقفين الذين تحدثنا عنهم فى صفحات سابقة . فاضطربت فى ذهنه المفاهيم ، واختلطت الحقائق بالأباطيل والأصيل بالدخيل .

ولو هيأ اللّه لهؤلاء الحكَّام مَن يشرح لهم الإسلام الحق متكاملاً بلا تجزئة ، مصفى بلا ابتداع ، مُيَّسراً بلا تعسير ، وبيَّن لهم ما وراء الإسلام من خير وصلاح للفرد،وللأُسرة ، وللمجتمع ، ومن حمايته من الشرور والرذائل والمفاسد المدمرة لمعنويات الأمة ومادياتها . لو هيأ اللّه لهم ذلك ، وانشرحت له صدورهم ، لتغيَّروا ، وتغيَّرت مواقفهم - كلياً أو جزئياً - من الإسلام ودعوته ، فما الحكَّام إلا بَشر مثلنا يمكن أن يتغيَّروا وأن يتأثروا ويقتنعوا ، ويُعَدِّلوا من أفكارهم وسلوكهم .

وفى التاريخ أمثلة لحكَّام تغيَّروا بتأثير بعض العلماء والدُعاة المصلحين .

---

(١) التوبة : ٣٢

وكثير من الحكام يكون خوفه من الإسلام ودعوته من وساوس بطانة السوء فى الداخل ، أو من كيد الأبالسة فى الخارج .

وهؤلاء يمكن التسلل إليهم عن طريق ما بقى من خير فى أعماقهم ، ومخاطبة الدم الإسلامى فى عروقهم ، من ناحية ، وطمأنتهم على كراسيهم وسلطانهم ، فى المرحلة الراهنة على الأقل ، فى مقابل ترك الحرية لدعوة الإسلام ، حتى تقوم بهمتها فى تربية الشباب على معانى الحق والخير والطُهر ، وتحميهم من سموم المُسْكِرات والمخدرات وتجار الرقيق ، وتقاوم المبادىء الهدّامة التى ستكون وبالاً على الحاكمين والمحكومين على السواء .

لا مانع من عقد مثل هذه الهدنة أو هذه الاتفاقية مع الحكّام ، وإن كانت الحركة لا ترضى عن وجهتهم ولا سلوكهم ، ولكن فى ضوء فقه الموازنات ، رأت أن هذا الموقف أولى من المقاطعة الصارمة أو المعاداة الدائمة .

على أن ما يجب التحذير منه هو أن يؤدى ذلك إلى الممالأة لهؤلاء الحكّام ، وكيل المدائح لهم . ففرق كبير بين أن تهادنهم وأن تداهنهم !

* * *

الحوار مع العقلاء فى الغرب

وحوار آخر مهم على الحركة الإسلامية أن تطرق أبوابه ، مع ما فيه من محاذير وما فيه من صعوبات .

إنه الحوار مع الغرب ، على ما بيننا وبينه من خلاف فى الدين ، فهو - فى جملته - نصرانى ، ونحن مسلمون . ومن خلاف فى النزعة ، فهو مادى ونحن روحيون ، وهو واقعى ونحن مثاليون ، ومن خلاف فى السياسة ، فهو منحاز فى الأعم الأغلب لإسرائيل ، خاذل لنا فى جل مواقفه ، على تفاوت بين دوله بعضها وبعض .

ومع هذا لا غِنَى عن الحوار مع الغرب .

فالغرب هو الذى يحكم العالَم منذ قرون ، وهو صاحب الحضارة التى تسود دنيانا اليوم ، شئنا أم أبينا . وقد حكم ديارنا ، واستعمر أقطارنا مُدداً من الزمن ، ثم رحل عنها كرهاً أو طوعاً ، ولكنه لا يزال يؤثر فيها . وفى صنع القرار فيها من قريب أو بعيد ، وتأثيره على عقول حكّامنا وعلى إرادتهم معروف غير منكور .

ولم يعد فى وسع مجموعة من الناس أن تعيش بعقيدتها ومبادئها وحدها ، معزولة عن العالَم من حولها . فى مدينة فاضلة كالتى تخيلها الفلاسفة القدماء والمحدَثون ، فإن ثورة الاتصالات الهائلة قرَّبت ما بين أطراف هذه الكُرة التى نعيش عليها ، حتى غدت كأنها قرية كبرى ، كما وصفها أحد الأدباء بحق .

ولهذا كان الحوار مع الغرب فريضة وضرورة لنا ، حتى يفهم ماذا نريد لأنفسنا وللناس ، وأننا أصحاب دعوة لا طلاَّب غنيمة ، ورُسُل رحمة لا نُذُر نقمة ، ودُعاة سلام لا أبواق حرب ، وأنصار حق وعدل لا أعوان باطل وظلم ،

OBEIKAN.COM

وأن مهمتنا أن نأخذ بيد الإنسانية الحائرة إلى هداية اللّه ، وأن نصل الأرض بالسماء ، والدنيا بالآخرة ، والإنسان بأخيه الإنسان ، حتى يحب كل امرىء لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، وحتى تبرأ البَشرية من « داء الأمم » الحسد والبغضاء ، فإنها « الحالقة » ليست حالقة الشعر ، ولكنها حالقة الدين .

نعلم أن الغرب لا زالت تحكم تصوراته لنا وفكرته عنا ، مواريث سوداء لوّثت فكره وقلبه من جهتنا ، ورثها منذ عهد الحروب الصليبية ، ولم تفارقه فى الأعم الأغلب إلى اليوم .

وقد اعترف بذلك كثير من مفكريهم الأحرار والمنصفين ، مثل الفليسوف الاجتماعى الفرنسى « چوستاف لوبون » فقد ذكر ذلك صراحة فى بعض حواشيه فى كتابه « حضارة العرب » وأن الباحث الغربى حين يبحث فى القضايا الإسلامية يتقمص شخصية غير شخصيته العادية المستقلة التى يدرس بها سائر القضايا ، فهو هنا متحيز متحامل ، وإن لم يشعر .

وذكر مثل ذلك حديثاً المستشرق « مونتجمرى وات » ، فى كتابه « ما هو الاسلام » ؟

وها نحن اليوم نرى آثار هذه الروح الصليبية الموروثة تظهر ما بين الحين والحين فى مجالات شتّى .

نرى أثرها فى موقف الغرب من إسرائيل المغتصبة ، ومن شعب فلسطين المُعتَدى عليه .

نرى أثرها فى موقف الغرب من « ليتوانيا » النصرانية ومن « أذربيجان » المسلمة فى الاتحاد السوفييتى .

نراها فى تحرك رجالات فرنسا وإيطاليا وأسبانيا خشية من خطر المد الإسلامى فى الجزائر .

نراها فى موقفه من قضايا جنوب السودان ، وأريتريا ، وكشمير ، والفليبين وغيرها من القضايا السياسية الإسلامية .

ورأيناها فى قضايا اجتماعية متعددة ، أبرزها قضية المدعو « سلمان رشدى » الذى انسلخ من جلده ، وخان عقيدته وأُمته .

وقضية « الحجاب فى فرنسا » وكيف ضاقت بلاد تزعم أنها أُم الحرية ببعض طالبات مسلمات ، يفرض عليهن دينهن أن يلتزمن الحشمة فى لباسهن ، فهن يردن بزيهن رضوان اللّه تعالى والنجاة من النار .... ولكن أرض الحرية وحقوق الانسان لم تعطهن الحق فى التزام ما يُرضين اللّه به فى أمر شخصى محض !

نرى الروح الصليبية للأسف الشديد فى مظاهر ومواقف لا تحصى . حتى إن تركيا الدولة التى لهثت وراء الغرب ثلثى قرن من الزمان ، وفرضت علمانية الغرب - بالسيف والدم - على شعبها المسلم ، وطاردت شريعة الإسلام من كل موقع ، لم يشفع لها ذلك لتنضم إلى السوق الأوروبية المشتركة ، وقال المستشار الألمانى حين سُئِلَ عن عدم قبول تركيا : إن تركيا لها حضارة غـــير حضارة أوروبا ، إن حضارتها إسلامية ، وحضارتنا يهودية مسيحية !

ومع هذا لا نيأس من الغرب ولا ننفض اليد من جدوى الاتصال به والحوار معه ، وإن اختلفت حضارتنا وحضارته ، وهل يكون الحوار إلا بين مختلفين ؟ فليكن حوار الحضارات كما سماه المفكر المعروف « رجاء جارودى » ، حوار الحضارات بدل صراع الحضارات .

وما لنا لا نحاوره وقد سَنَّ لنا القرآن سُنَّة الحوار مع المخالِفين ، وجعل ذلك إحدى وسائل الدعوة إلى اللّه .

وأكثر من ذلك أن القرآن الكريم ذكر لنا حوار رب العزة جل جلاله مع شر خلقه إبليس ، ولم يغلق فى وجه هذا اللعين باب الحوار ، وأى حوار ؟ حوار مع رب العالمين .

اقرأ هذه الآيات من سورة (ص) :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ، أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ، خَلَقْتَنِى مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

وليكن هذا الحوار مع الغرب على أكثر من صعيد

على الصعيد الدينى .

وعلى الصعيد الفكرى .

وعلى الصعيد السياسى .

* * *

● الحوار الدينى (الإسلامى - المسيحى) :

ليكن هناك حوار دينى بين الإسلام والمسيحية ، يهدف إلى عدة أمور :

١ - الوقوف فى وجه تيار الإلحاد والمادية ، الذى يعادى كل الرسالات السماوية ، ويسخر من الايمان بالغيب ، ولا يؤمن بألوهية ولا نبوة ولا جزاء ، ولا قيم روحية . وكذلك تيار الإباحية والانحلال الخُلُقى ، الذى يكاد يدمر خصائص الإنسانية وفضائلها التى كسبتها من هداية النبوات .

---

(١) سورة ص : ٧١ - ٨٥

٢ - تأكيد نقاط الاتفاق بين الدينين ، التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله فى جدال أهل الكتاب : ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

٣ - تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التى خلّفتها الحروب الصليبية قديماً والاستعمارية حديثاً ، وإشاعة معانى الإخاء والإنسانية والمرحمة ، وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى ، ومن مظاهر ذلك : أن تكف الكنيسة عن تأييد النصارى ضد المسلمين فى كل معركة تقوم بين الطرفين ، كما فى جنوب السودان والفليبين ، وغيرهما ، بل إنها قد تؤيد الشيوعيين والوثنيين ضد المسلمين .

وأنا أعلم أن كثيراً من الإسلاميين سيئو الظن بكل حوار من هذا النوع ، لاعتقادهم أنه حوار مشبوه ، وأن وراءه أيدياً خفية تحركه وتستثمره لأهداف خاصة ، وأن المسلمين هم الطرف الضعيف الذى يستخدمه الطرف القوى ، وهو لا يشعر . ولهذا يغدو كل مَن يشارك فى مثل هذا الحوار موضع تهمة عندهم ، فهو إما مستغفَل أو عميل !

ورأيى أن هذا التطير لا داعى له ، وما قالوه يمكن أن يكون صحيحاً ، ولكنه ليس بلازم دائماً . ولماذا نفقد الثقة بأنفسنا إلى هذا الحد ؟ لماذا نعتبر أنفسنا الطرف الضعيف ، ونحن أقوياء بما عندنا ؟ ولماذا نعتبر كل محاورٍ لهؤلاء مُفَرِّطاً فى حق عقيدته ، مستسلماً للطرف الآخر ؟

إن المهم أن ندخل الحوار ونحن واقفون على أرض صلبة ، واثقين من أنفسنا ، وممن يتكلمون باسمنا ، مؤمنين بأن الحوار أولى من الشجار ، ومن الفرار .

---

(١) العنكبوت : ٤٦

والواقع أن الحوار من وسائل الدعوة التى بدأها رسول اللّه ﷺ فى رسائله التاريخية إلى هرقل والمقوقس والنجاشى ، وغيرهم من قادة أهل الكتاب ، والتى ختمها بالآية الكريمة : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

والواقع أنه وقع شىء من هذا الحوار ، وكان له نتائج إيجابية ، كما حدثنى بذلك الأستاذ محمد المبارك رحمه اللّه .

فقد تم بين وفد من رابطة العالَم الإسلامى على رأسه الأمين العام للرابطة فى ذلك الوقت الشيخ محمد الحركان - رحمه اللّه - وفيه الدكتور معروف الدواليبى ، والأستاذ محمد المبارَك .... وممثلين للڤاتيكان ، وكان ذلك هناك فى روما (٢) .

وكان من ثمرات ذلك تحسين صورة كل طرف لدى الطرف الآخر ، وخصوصاً صورة الإسلام المشوَّه ظلماً وزوراً ، وانعكاس ذلك على العلاقات الإسلامية المسيحية فى بعض الفترات .

كما تم هذا فى ليبيا بين عدد من مفكرى المسلمين وآخر من كبار رجال الكنيسة ، وكان له أثره الحسن ، كما حدثنى بذلك الأخ الدكتور عز الدين إبراهيم ، أحد المشاركين الأساسين فى هذا الحوار .

وقد اطلعتُ على بحثه الذى شاركَ به ، فوجدته غاية فى الاتزان والإحكام والاعتدال الذى لا غلو فيه ولا تفريط .

* * *

(١) آل عمران : ٦٤

(٢) صدر ذلك فى كتاب نشرته رابطة العالَم الإسلامى منذ سنوات .

OBEIKAN.COM

• الحوار الفكرى (مع المستشرقين) :

ولا بد مع هذا الحوار الدينى للغرب ، من حوار آخر متمم له ، وهو الحوار الفكرى . أعنى مع المستشرقين والكُتَّاب الغربيين المعنيين بالدراسات المتعلقة بالإسلام : رسوله وقرآنه ، عقيدته وشريعته ، حضارته وتاريخه ، علومه وآدابه، أُممه وشعوبه ، حاضره ومستقبله ، وخصوصاً الذين يهتمون باتجاهات الفكر ، وحركات البعث والإحياء الحديثة ، وانطلاقات الصَحْوَة المعاصرة .

وهذا الحوار ضرورى ، لتصحيح الفكرة ، وتقريب الشُقَّة ، وتنقية الأجواء ، وتمهيد الأرض لعلاقات أفضل .

وإذا تحقق الحوار مع رجال الدين ، وممثلى الكنيسة - وهم الأكثر تعصباً بحكم مواقعهم ومواريثهم الثقافية الممتدة فى التاريخ - فالحوار مع المستشرقين وأهل الفكر أقرب نفعاً ، وأيسر سبيلاً . وإن كان هناك كثيرون يقولون : لا فرق بين رجال الدين ورجال الفكر فى الغرب ، وبعبارة أخرى : بين المبشِّرين والمستشرقين ، إلاَّ أن الأولين يلبسون مسوح الدين ، والآخرون يلبسون أردية العلم . وهما وجهان لعملة واحدة !

على كل حال ، الحوار ليس بمستحيل إذا صحَّت العزائم ، وحُدِّد الهدف ، واتضح الطريق .

ويمكن للجامعات والمجامع العلمية ، ومنتديات الفكر ، أخذ زمام المبادرة والجمع بين ممثلين للفريقين للبحث فى موضوعات معيَّنة ، ينبغى حسمها فى مناخ علمى موضوعى بعيد عن التحيز والاستفزاز .

ويجب أن نأخذ فى الاعتبار أن المستشرقين ليسوا فى درجة واحدة من حيث موقفهم من الإسلام وأمته وصَحْوَته .

وقد كُتِبَتْ مؤلفات عن المستشرقين مثل كتاب الأستاذ العقيقى ، وكتب فى الرد عليهم ، وكتب فى الدفاع عنهم . ورسائل فى تصنيفهم ، مثل رسالة أستاذنا الدكتور محمد البهى - رحمه الله - عن « المستشرقين ومواقفهم من الإسلام » .

وأنا لا أنكر أن هناك نقاط ضعف تكاد تكون مشتركة بين أكثر المستشرقين ، وهى :

أولاً : عدم تمكنهم من اللُّغة العربية ، وتذوقهم لها ، وتفهمهم لدلالاتها المتنوعة ، وهذا لا بد أن يكون له انعكاسه على مدى فهمهم للمصادر الإسلامية الأصلية ، وخصوصاً القرآن العزيز ، والسُّنَّة المشرَّفة ، ولهذا كان فهمهم للإسلام ورسالته مشوَّشاً ومنقوصاً .

ثانياً : عقدة تفوق الإنسان الغربى ، والعقل الغربى ، والحضارة الغربية ، والنظر إلى الغرب أنه سيد العالَم ، وأن أوروبا أُم الدنيا ، وأن التاريخ من الغرب بدأ ، وإليه يعود .

ثالثاً : الانطلاق من مسلمات غير قابلة للامتحان عند الإنسان الغربى ، وهى أن القرآن ليس كلام الله ، وأن محمداً ليس رسول الله ، فهو قد كوَّن فكرته مقدَّماً قبل أن يبحث ، ثم هو فى بحثه بعد للاستدلال عليها بكل ما يمكنه ، وفى سبيل هذا يقبل الواهيات من الروايات ، ويصدق الأكاذيب ، ويضخم الوقائع الصغيرة ، ويجعل من الحبة قُبة ، ومن الشبهة حجة ، ويستدل بما ليس بدليل ، ويرفض ما يخالف وجهته وإن كان فى وضوح الشمس .

رابعاً : أن دراسات المستشرقين كثيراً ما تكون موجهة لخدمة أهداف عملية ، مطلوبة منهم لهذه الدولة أو تلك . وكثيراً ما تُرصد الملايين لتحقيق هذه البحوث . وهذا ما يجعل هذه الدراسات غير مبرأة من الغرض .

ومع هذا يظل للحوار مجاله فى الكثير من القضايا ، ومع عدد من الأحرار يتزايد يوماً بعد يوم ، ويتخلص من العُقَد القديمة ، والمؤثرات الحديثة .

ومن الواجب عندما نريد أن نبدأ هذا الحوار : أن نتخير أقرب هؤلاء إلى الاعتدال والإنصاف ، من مختلف الجنسيات . مثل الأستاذ جاك بيرك ، الذى دُعِىَ إلى قَطر عدة مرات : من الجامعة ، ومن « نادى الجسرة » الثقافى .

والذى نلمسه مما يُترجَم لنا من إنتاج المستشرقين المعاصرين أن مستشرقى اليوم أعدل من مستشرقى الأمس ، وأبعد عن الغلو والتعصب ، وبخاصة أن المسلمين غدوا يقرؤون ما يكتبون ، ويناقشونهم ، ويردون عليهم ، أما قديماً فقد كانوا يكتبون لأنفسهم ، أى يكتب بعضهم لبعض ، فكانت كتاباتهم أشبه بتقارير خاصة لا بموضوعات عامة .

* * *

● الحوار السياسى مع الغرب :

ولا بد للحركة الإسلامية - بعد هذا الحوار الدينى ، والحوار الفكرى - من حوار آخر مع الغرب : حوار سياسى ، مع رجال السياسة ، وصنّاع القرار ، الظاهرين والمستترين .

وأعتقد أن الحوارَيْن السابقين يمهدان لهذا الحوار الجلل . فالكنيسة وإن عُزِلَت رسمياً عن التدخل فى السياسة - لا يزال لها وزنها فى التأثير على رجال الدولة،ولا زالت أصابعها تعمل من وراء ستار فى شئون السياسة الخارجية ، وبخاصة ما يتعلق منها بالإسلام والمسلمين .

والمستشرقون وإن بدا عملهم أكاديمياً ، لهم صلات لا تخفى - أو لكثير منهم - بأجهزة الاستخبارات والأمن القومى ووزارات الخارجية .

وهناك مَن يوئس من كل محاولة لحوار سياسى مع الغرب ، ومَن يردد قول الشاعر الغربى القديم : « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان » !

OBEIKAN.COM

ولكن رأينا الغرب التقى مع الهند ، والتقى مع اليابان ، بل التقى أخيراً مع الصين !

ويقول آخرون : إن الغرب يمكن أن يلتقى مع الهند والصين واليابان ، وبعبارة أخرى مع الهندوس والبوذيين والشيوعيين ، ولكنه لا يلتقى مع المسلمين ، وقد يستدلون لذلك بأقوال لمبشرين ومستشرقين وساسة ، عبَّروا عن حقدهم على الإسلام بعبارات تقطر سماً .

وهناك مَن يسىء الظن بكل مَن يحاول الاتصال بالغرب أو الحوار معه بأى صورة من الصور ، ومَن يستغل أى نوع من هذا الاتصال ليقذف أصحابه بالتهم الجاهزة : العمالة والخيانة ... إلخ ... ولا ننسى هنا ما لقيه الرجل المجاهد الصلب الأستاذ حسن الهضيبى ، المرشد الثانى للإخوان المسلمين ، من جرَّاء اتصاله بمستر « إيفانز » وقد كان ذلك بعلم رجال الثورة المصرية ورضاهم ، ثم لم يلبثوا أن اتخذوه سلاحاً ضده ، وأداة للتشويش عليه وعلى الحركة ورجالها وسياستها !

وهذا ما ينبغى أن ندركه ، ونحسب حسابه ، ونعرف كيف نحتاط له ، ونحترس من استخدامه ضد الحركة من خصومها .

وهنا لا أنكر أيضاً أن عُقَد الحقد على الإسلام ، والخوف من الإسلام وأُمته ، لا تزال تحكم عامة الساسة فى الغرب ، ولا زالت ذكريات اليرموك وأجنادين وشبح الحروب الصليبية ، وفتوح العرب والعثمانيين ، وأسماء خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين ، ومحمد الفاتح ، تقلقهم وتفزعهم .

ومع هذا لا ينبغى أن تحكمنا نحن عُقْدة الخوف من هذه العُقْدة ، ولا بد من كسر الحواجز النفسية ، ومحاولة التحرر من العُقَد قديمها وحديثها .

وقد تقاربت أوروبا على ما كان بينها من حروب ودماء ، وثارات ، وتوشك أن تكون دولة واحدة فى الأمد القريب .

وتقارَبَ الأمريكان والسوفييت ، وزال ما كان بينهما من حروب ساخنة وباردة .

فلِمَ لا يجوز التقارب مع المسلمين ؟

إن منطق الغربيين معروف : إنه لا توجد صداقة دائمة ، ولا عداوة دائمة ، إنما توجد مصالح دائمة .

ولا مانع عندنا أن ننطلق من مبدأ رعاية المصالح المشتركة بيننا وبين القوم .

واعتقد أن مصلحة الغرب ألا يعادى ألف مليون من المسلمين ، وأن يكسب ودهم واحترامهم وثقتهم .

ومن واجبنا نحن أن نعمل على تحسين صورتنا عند الغرب ، الذى كوَّنها عنا خلال صراعات مريرة ، لم تمح من ذاكرة التاريخ ، دخلت فيها المبالَغات والأساطير .

ولا نجحد أن من بيننا أناساً لا يقدِّمون صورة حسنة للإسلام ، لا من جهة فكرهم ، ولا من جهة سلوكهم .

فهم يقدِّمون الإسلام فى صورة العنف والتشدد والصدام الدموى مع الآخرين ، وإهمال شأن الحريات ، وحقوق الإنسان ، ولا سيما حقوق الأقليات ، والنساء .

وربما ساعد على ذلك ما هو واقع مشاهَد فى كثير من بلاد المسلمين ، مما قد يُظَنُّ أنه بعض ثمار الإسلام وأحكامه .

هذه الأوهام المستقرة لا تزول وحدها ، ولا تزول بين عَشيَّة وضُحاها ، إنما يمكن أن تزول بحوار صادق النية ، طويل النَفَس ، قائم على المكاشفة لا المراوغة ، على الاستقامة لا الالتواء ، وإن كان هذا فى دنيا السياسة أمراً مستبعَداً ، ولكنه ليس بمستحيل ، فلم يعد فى السياسة اليوم أمر مستحيل .

إننا إذا أقنعنا قادة الغرب والمؤثرين فى سياسته بحقنا فى أن نعيش بإسلامنا ، توجهنا عقيدته ، وتحكمنا شريعته ، وتقودنا قيمه وأخلاقه ، دون أن نبغى عليهم ، أو نُضمر سوءاً لهم ، نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً فى سبيل الوصول إلى هدفنا فى إقامة المجتمع المسلم الذى ننشده فى أوطاننا .

فمما لا شك فيه أن أول ما يعوقنا فى طريق هذا الهدف هم حكّامنا الذين يقفون لنا بالمرصاد ، ويقاومون كل توجه لتحكيم الإسلام فى الحياة : الاجتماعية والسياسية والثقافية . وأن أكبر ما يؤثر على حُكّامنا هو الغرب ورجاله وساسته ، بالتنفير من الإسلام ، والتخويف من دُعاته ، والتشكيك فى حركاته ، بالتصريح حيناً ، والتلويح أحياناً . وبالطريق المباشر تارة ، وغير المباشر طوراً .

لهذا كان إقناع الغرب بضرورة ظهور الإسلام موّجهاً وقائداً ، لو أمكن ، اقناعاً لحكّام العرب والمسلمين بالتالى ، وفى ذلك كسب كبير .

* * *

الحركة الإسلامية والمؤسسة الدينية الرسمية

ومما يجب على الحركة الإسلامية أن تعيه جيداً وتعمل له فى المرحلة القادمة أن تحاول كسب المؤسسة الدينية التقليدية إلى جانبها : رجال الازهر فى مصر ، والزيتونة فى تونس ، والقرويين فى المغرب ، ودبيوبند فى الهند وباكستان .. .. وأن تجعل من أهدافها الأساسية وفى خططها الرئيسية : التغلغل فى قلب هذه المؤسسة بأفكارها وأبنائها ، وغزوها من الداخل . وبهذا تحقق جملة من المكاسب القيمة منها :

١ - تفادى الصدام برجال هذه المؤسسة ، الذين لا يزال لكثير منهم رصيد لدى الجماهير المسلمة ، ويملكون التشويش على الحركة ، وتشويه صورتها فى أذهان العوام ، وأشباههم ، بالحق أو بالباطل . وبخاصة مَن باع منهم نفسه لخدمة السلطان . مما يعوق سير الحركة ، ويكلفها الكثير من الجهد والوقت فى الدفاع عن النفس ، وكشف الزيف ، وبيان الحقيقة ، وبذا تُوَجَّه الجهود وتُكَثَّف لمواجهة أعداء الإسلام الحقيقيين الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم .

٢ - الأمل فى إصلاح هذه المؤسسة الهامة لتقوم بمهتها الأصيلة والكبيرة فى تعليم الإسلام الصحيح ، والدعوة إليه ، خالصاً بلا شركة ، شاملاً بلا تجزئة ، نقياً بلا ابتداع ، متكاملاً بلا زيادة ولا نقصان .. وتحريرها من أن تكون أداة فى أيدي سلاطين الجور ، وعملاء الصليبية والشيوعية ، والعمل على أن تكون حصناً منيعاً لدعوة الإسلام من كيد أعدائه ، وأن تخرِّج رجال رسالة وعقيدة ، لا مجرد موظفين فى حكومة .

٣ - الاستفادة مما لدى هذه المؤسسة من إمكانات التغلغل والتأثير فى الشعوب للتوعية بقضايا الإسلام الكبرى ، ومآسى المسلمين فى العالَم ، وبواجب شعوب الأمة المسلمة تجاه الفكرة الإسلامية ، والأرض الإسلامية ،

وما تقوم به الحركة الإسلامية فى سبيل البعث الحضارى الإسلامى . من علم وعمل وتربية وتكوين ، ومقاومة للتيارات الدخيلة التى تزحف على الأمة سراً وعلانية بتدبير القُوَى المعادية للإسلام ، فى الخارج . وموالاة من طوابير النفاق فى الداخل - وبهذا التعاون والتكامل بين الحركة الشعبية والمؤسسة الرسمية ، تتسع الجبهة المناصرة للدعوة الإسلامية ومشروعها الحضارى الكبير .

٤ - إسقاط أعذار الحكومات التى تتهرب من تحكيم الشريعة وتبنى منهج الإسلام لتوجيه الحياة ، وقيادة المجتمع ، والتى تتوكأ على فتاوى بعض الضعفاء والمستغفَلين من رجال المؤسسة الدينية الرسمية .. وإضفاء الشرعية الدينية على مطالب الحركة وسعيها فى إقامة دولة تحكم بما أنزل الله ، وتختضن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ، ورسالة حضارة وهداية للعالَمين .

وقد كان الإمام الشهيد حسن البنا حريصاً على أن تكون حِباله موصولة بعلماء الأزهر وكان على علاقة طيبة بعدد كبير منهم ، وسمعته يقول فى حفل أقيم فى مدينة طنطا حضره بعض كبار العلماء من المعهد الأحمدى الأزهرى : « أنتم - معشر العلماء - الجيش الرسمى العامل للإسلام ، ونحن من ورائكم الجيش الاحتياطى » !

وهذا - بطبيعة الحال - لا ينطبق على بعض المؤسسات التى باعت دينها بدنياها ، أو بدنيا الآخرين ، وأصبحت بوقاً للطواغيت ، وسيفاً يشهرونه فى وجوه العاملين الصادقين للإسلام ، فهؤلاء لا يُجامَلون ولا يُهادَنون ولا كرامة ، ويجب تعريتهم على حقيقتهم أمام شعوبهم حتى يحذروا من شرهم .

كما يجب التفرقة بين أولياء الطاغوت الذين أصبحوا آلات فى يديه ، أو أحذية فى قدميه ، وبين المستضعَفين الذين يكرهون الطاغوت ، ولكنهم جبنوا عن مقاومته ضعفاً وخوفاً . فهم إن صمتوا عن كلمة الحق لم يتورطوا فى النطق بكلمة الباطل . فهؤلاء ينبغى تقدير ظروفهم وإعانتهم على التحرر من الضعف والخوف .

إن المؤسسة الدينية فى إيران هى التى صنعت الثورة على نظام الشاه هناك .

ساعدها على ذلك ما لها من حق الطاعة المطلقة على الجماهير الشعبية - بحكم تعاليم المذهب الجعفرى . ولاستعدادها لبذل الدماء والأموال والأولاد اذا طلبها منهم آيات الله ومشايخ المذهب .

كما ساعدها ما فى أيديها من أموال أعطاها إياهم الشعب طواعية واختياراً وهى أموال « الخُمس » الذى يفرضه الفقه الجعفرى على صافى الدخل أى بنسبة ٢٠٪ وهى تعطى لعلمائهم نيابة عن الإمام الغائب .

فلم يعد علماؤهم أسرى تحت رحمة الحكومة التى تتحكم فى أرزاقهم وأقوات عيالهم ، وهى التى تملك توظيفهم ، وتدفع رواتبهم ، وتعزلهم منها إن شاءت .

لهذا كان من المبادىء الأولية لإصلاح المؤسسة الدينية : أن يكون لها استقلالها العلمى والإدارى والمالى ، وأن تعود الأوقاف المغتصَبة من هذه المؤسسات إليها ، ويكون لها حرية التصرف فيها ، وبهذا يعود ما قاله بعض الأمراء عن سر قوة الإمام الحسن البصرى : « احتجنا إلى دينه ، واستغنى عن دنيانا » .

ولكن المشكلة أن يغدو عالِم الدين مجرد موظف فى دولة ، لا تحتاج هى إلى دينه ، ولا يستغنى هو عن دنياها !!

* * *

الحركة وفصائل الصَحْوَة

وعلى الحركة الإسلامية أن تجتهد في تكتيل كل الجماعات العاملة للإسلام ، وكل فصائل الصَحْوَة الإسلامية لتقف في جبهة واحدة وصف واحد كالبنيان المرصوص لنُصرة الإسلام ، والتمكين له في الأرض ، وصد التيارات الغازية لأمته ، والقُوَى المعادية لدعوته ، وأن يكون دورها إيجابياً فى إشاعة أدب الحوار ، وفقه الاختلاف ، والعمل على التقريب بين المختلفين ، وإرساء قاعدة التعاون في المتفَق عليه والتسامح فى المختلَف فيه .

لقد جاهد الإمام الشهيد حسن البنا للتقريب بين الجماعات الإسلامية في مصر ووضع « الأصول العشرين » الشهيرة لتمثل « الحد الأدنى » لما ينبغى الاتفاق عليه من المفاهيم .

وهذا ما ينبغى على الحركة الإسلامية فى كل حين إذا أرادت أن تحقق أهدافها الكبرى ، فهى إنما تقوى بقوة كل الجماعات والفصائل العاملة في الساحة الإسلامية،أعنى الجماعات الجادة المخلصة ، لا الهازلة ، ولا المنحرفة ، ولا المحسوبة على الاسلام زوراً .

إن أية جماعة إسلامية تخطىء خطأً كبيراً إذا اعتقدت أن بإمكانها وحدها أن تحمل عبء إقامة حكم إسلامى معاصر ، قادر على مواجهة مشكلات الداخل ومؤمرات الخارج .

بل الواجب على كل الجماعات والحركات أن تتضامن وتتكاتف فيما بينها ، ليتكوّن من مجموعها تكتل إسلامى قوى ، يستطيع أن ينفع الصديق ، ويرهب العدو .

وأخشى ما أخشاه هنا أن تتغلب النزعة الأنانية على الإخوة الإسلامية ، فتحاول كل جماعة أن تثبت نفسها ، وتنفى غيرها ، وأن تجعل أكبر همها هدم الآخرين لا بناء نفسها ، لتكون جزءاً من صَرح جَماعى أكبر ..

أو يتغلب ضِيق الأُفق ، فيُضَخِّم من حجم الخلافات الجزئية والفرعية بين الجماعات الإسلامية بعضها وبعض ، ويجعل من الحبة قُبة ، ومن الفروع أصولاً ، ومن المواقف الاجتهادية أُموراً عقائدية ، كصاحب رسالة « القول السديد فى أن دخول المجلس النيابى ينافى التوحيد » !!

إن إقامة حكم إسلامى قوى يستطيع أن يُجدِّد للأمة دينها ، ويرتقى بدنياها لا بد أن تشارك فيه كل الفئات العاملة للإسلام ، مهما يكن بينهم من الفروق والاختلافات فى المواقف والسياسات ، ومعهم كل الشخصيات والأفراد الصالحين والغيورين الذين لا ينتمون إلى جماعات ولا منظمات .

وأعتقد أن الحركة الإسلامية تنجح حقاً إذا أمكنها أن تُجنِّد كل القُوَى الإسلامية فى هذا السبيل ، وتحشدها معها ، بحيث يعتبر الجميع أن الدولة دولتهم ، وأن الحكم حكمهم ، وأن انتصارها لهم ، وأن إخفاقها عليهم .

* * *

خاتمة

- ضرورة تفرغ الكفايات لواجبات الحركة .
- إعداد المتخصصين النوابغ فى شتّى المجالات .
- إنشاء مركز مجهّز للمعلومات والبحوث .

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

خاتمة

بعد هذه الفصول ، علينا أن نؤكد أنه من اللازم للحركة الإسلامية على المستوى الإقليمى والمستوى العالمى ، أن يكون لها رؤية واضحة للمستقبل ، ينبثق عنها خطة بَيِّنة المعالِم ، محدَّدة الأهداف ، متطورة المناهج ، شرعية الوسائل ، مرتبة المراحل ، علمية الفكرة ، واقعية النظرة ، مرنة التنفيذ ، موزَّعة الآعباء على الأجهزة والمؤسسات المختصة ، غير معتمدة على أشخاص بأعيانهم تستمر ببقائهم ، وتتوقف بتوقفهم . خطة مبنيّة على معلومات موثّقة ، وإحصاءات دقيقة ، وبحوث مستفيضة ، وتحليلات علمية ، ومقارنات موضوعية ، ودراسة لكل الإمكانات المادية والبَشرية القائمة والمحتمَلة ، ولجميع العوائق المادية والمعنوية ، الداخلية والخارجية ، واقعة أو متوقعة . دون تهويل أو تهوين [1] .

يقوم على وضع هذه الخطة جهاز متخصص متكامل من خبراء متمكنين ، متنوعى الثقافة ، يكمل بعضهم بعضاً ، يستعينون بكل مَن يرون الاستفادة منه برأى أو معلومة ، من أفراد أو أجهزة وإدارات .

ومن اللازم ، قبل وضع الخطة ، وبعد وضع الخطة ، الاهتمام بأمور ثلاثة : التفرغ ، والتخصص ، والمعلومات . وهو ما نتحدث عنه فى هذه الخاتمة .

* * *

(١) انظر ما كتبناه عن خصائص الخطة المطلوبة من الناحية النظرية فى كتابنا « الحل الإسلامى فريضة وضرورة » .

ضرورة تفرغ الكفايات للعمل الحركى

من أهم ما يجب أن تحرص عليه الحركة الإسلامية في خطتها القادمة : العمل بجد على أن يتفرغ عدد من الكفايات في المواقع الاستراتيجية الهامة . وخصوصاً في مجال العلم والفكر ، ومجال التربية والتكوين ، ومجال الدعوة والإعلام ، ومجال السياسة والتخطيط .

ولا يجوز للحركة أن تظل معتمدة على التطوع المحض من أناس مشغولين بأعمالهم التي تستغرق جل أوقاتهم - ولا يبقى منها إلا فضلات لا يقوم عليها وحدها عمل كبير .

وهذا لا يتنافى مع وجود متطوعين محتسبين ببعض جهودهم وأوقاتهم ، فهذا مالا يُستغنَى عنه بحال . ومردوده كبير ، لسعة القاعدة التى تعمل متطوعة ، بل المفروض أن جميع أعضاء الحركة يعملون متطوعين إلا مَن فُرِضَ عليه التفرغ لمصلحة الدعوة .

وقد كان الإمام الشهيد حسن البنا يعمل فى التدريس عدة سنوات من حياة الدعوة حتى أجبرته ظروف الدعوة وتطور الحركة على التفرغ التام لها .

وكثير من رجال الحركة وقادتها فى أكثر من بلد ، كانوا يعملون أساتذة فى الجامعات ، أو فى وظائف رسمية متنوعة أو فى مهن حرة مختلفة .

ولكن العطاء الأكبر إنما يكون عند التفرغ الكامل للحركة وأهدافها .

ومن الضرورى أن يُراعَى عند التفرغ التنوع والتكامل ، حتى تُسَد كل الثغرات ، ولا يقع تركيز فى جانب ، على حساب جانب أو جوانب أخرى ، فلا يوجد إسراف إلا بجانبه حق مضيع .

OBEIKAN.COM

ولا يجوز أن يكون المال عقبة فى سبيل هذه الغاية ، فإن بذل المال لذلك من أهم ما يُتقرب به إلى الله ، ويمكن أن يُصرف فيه من أموال الزكوات والصدقات والأوقاف والوصايا وغيرها .

بل يجوز أخذ الفوائد من الأموال المودعة فى البنوك الأجنبية والمحلية ، لتُنفق فى هذا الجانب ، ولا يُقال : إن أصلها حرام ، لأنها حرام فى حق مودعها ، ولكنها حلال زلال للمصالح الإسلامية ، وتفريغ العاملين للإسلام فى مقدمتها .

ولا يجوز للعاملين المخلصين أن يستنكفوا من أخذ الأجر الكافى الملائم لأمثالهم لو عملوا فى أى مجال آخر ، حتى يستمروا فى العمل ولا يتبرموا به، المهم هو العدل فى غير إسراف ولا تقتير .

ولكن من اللازم اختيار العناصر القوية ، ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب دون محاباة لزيد ، ولا عَبن لعمرو ، ولا اعتبار إلا للكفاية والأمانة وحدهما ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (١) .

* * *

● إعداد المختصين :

ومما يكمل ذلك : ضرورة التوجه والتوجيه لإعداد متخصصين فى جوانب الحياة كافة .

فنحن فى عصر التخصص ، بل التخصص الدقيق ، ولسنا فى عصر العباقرة الموسوعيين الذين يعرفون كل فن ، ويفتون فى كل علم .

إن الذكاء وحده لا يكفى ، والمواهب وحدها لا تكفى .

لا بد من الدراسة العلمية المتخصصة ، القادرة على أن تساير العصر ، وتلبى الحاجة ، وتتقن العمل الذى يُسند إليها ، وفى الحديث الصحيح : « إن الله كَتَبَ

---

(١) القصص : ٢٦

الإحسان (أى الإتقان) على كل شىء » [١] ، وفى الحديث الآخر : « إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه » [٢] .

وهذا الإحسان أو الإتقان لا يتم فى عصرنا إلا بالتخصص ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

خذ مثلاً موضوعاً كالإعلام ، وما يتطلبه من تخصصات متنوعة .

إن كتابة النص علم ، وكتابته فى صورة حوار (سيناريو) علم ، وإخراجه علم ، وتنفيذه علم ، وتسويقه علم .

والإخراج الإذاعى ، غير الإخراج التلفزيونى ، غير الإخراج المسرحى ، غير الإخراج السينمائى .

وللإعلام اليوم فنون تُعَد بالعشرات ، تقوم عليها - أو على بعضها - معاهد وكليات ، فيها دراسات عالية وعُليا .

وإذا أردنا « أسلمة » هذه الفنون ، فلن يتحقق ذلك إلا بالمتخصصين القادرين على إيجاد البدائل الإسلامية لما هو واقع الآن .

إن الحركة غنية بالنوابغ من أبنائها ، ولكنهم لا يوزَّعون على المواقع الهامة والمؤثرة والمحتاج إليها توزيعاً عادلاً .

فكثيراً ما نرى تكديساً فى جانب من الجوانب كالطب مثلاً ، أو الصيدلة ، أو الهندسة المدنية ، أو المعمارية ، على حين نجد أنواعاً من التخصصات العلمية النادرة لا يوجد فيها إلا أفراد يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة ، وقد لا يوجد فيها أحد قط .

---

(١) رواه مسلم عن النواس بن سمعان ، وهو من أحاديث الأربعين النووية .

(٢) رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان عن عائشة ، وحسَّنه فى صحيح الجامع الصغير .

OBEIKAN.COM

ومثل ذلك التخصصات المتعلقة بالدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مثل علوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية والإعلام ونحوها ، وهى التى أصبحت مرغوباً عنها من نوابغ الشباب ، حيث يُقبلون على التخصصات العلمية وحدها . فى حين أن هذه العلوم أوصل بالمجتمع وأكثر تأثيراً فيه ، ولهذا اهتم اليهود فى أمريكا وغيرها أن يسيطروا على كراسيها ، ويستأثروا بنصيب الأسد منها ليقدروا على توجيهها لحسابهم كما يريدون .

وكم من شباب أذكياء متفوقين تتجه ميولهم وقدراتهم الخاصة الى الدراسات الإنسانية والأدبية ، فوجههم ضغط المجتمع إلى الدراسات العلمية ، ولو وُجِّهوا حيث وجهتهم ميولهم وقدراتهم لكان إنتاجهم أغزر ، وأثمارهم أوفر .

والحقيقة أن هناك نقصاً ظاهراً فى العلوم الإنسانية مع ما لها من أهمية وخطر . بل ميدان الأدب ، والقصة والنقد ، يكاد يخلو من نوابغ الشباب فى عدد من الأقطار ، ومَن يوجد منهم لا يُتاح له البروز بالقدر الكافى ، وبالشكل المناسب خلافًا لما يفعل اليساريون وغيرهم ، الذين يُرَوِّج بعضهم لبعض ، ويرفع بعضهم من شأن بعض ، على حد قول الشاعر :

وبقيتُ فى خلف يزيّن بعضهم ... بعضاً ، ليدفع مُعَور عن مُعَور !

* * *

● مركز للمعلومات والبحوث :

ومن أهم حاجات العصر وأولياته : إنشاء بنك للمعلومات أو مركز للبحوث والمعلومات على مستوى عصرنا : عصر « الثورة المعلوماتية » كما يحلو لبعضهم أن يسميها ، يقوم عليه خبراء متخصصون مُدَربون ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (١) وتخدمه أجهزة متطورة تلائم مشارف القرن الحادى والعشرين الميلادى (٢) .

---

(١) فاطر : ١٤

(٢) لم أذكر القرن الخامس عشر الهجرى ، لأن الأجهزة لا تنتسب إلينا ، بل إلى الغربيين ، فكان ذكر تاريخهم هنا أولى .

لقد تنوعت مصادر المعلومات ، وتطورت وسائل الحصول عليها ، ووسائل تخزينها ثم تصنيفها ، ثم الاستفادة منها عند الطلب . فهل أفدنا منها ؟

إننا لا نملك معلومات كافية ، ولا نصف كافية عن أنفسنا ، بله أن نملك معلومات عن الأخرين ، من أصدقائنا ، أو من أعدائنا . على حين يعرف خصومنا عنا كل شيء .

كنتُ فى مدينة إستانبول مع مجموعة من الإخوة العرب ممن يعملون فى قطاع البنوك الإسلامية ، ولقينا بعض الإخوة من جمهورية تركستان فى الاتحاد السوفييتى ، وقالوا لنا : أين مساعداتكم لإخوانكم فى تركستان وأخواتها ممن كانوا وراء الستار الحديدى ، وقد فُسِحَ لهم المجال الآن ، ليعملوا ويتحركوا ؟ إنهم فى حاجة إلى مساعدات وخبرات من كل نوع : دينية وثقافية وتعليمية واقتصادية ، فأين هى ؟ ومَن يقدمها ؟

إن السلطات الدينية المسيحية تحركت منذ وقع هذا الانفتاح ولم تضيع الفرصة . كانت المعلومات متوفرة لديها . والخرائط مُعَدَّة ، والإحصاءات والبيانات مُهيأة . ففى الحال وُزِعَت الأناجيل والرسائل ، وانتشر الدعاة ، وفُتِحَت فى هذه المدة نحو (٢٠٠٠) ألفى كنيسة ، ما بين جديد أُنشىء ، وقديمٍ رُمِم ، ومنهوب استُعيد ، ولا يزال العمل المسيحى للكنيسة ورجالها موصولاً ممتداً ، فأين العمل الإسلامى فى المناطق الإسلامية ؟؟

وتلفتُ إلى مَن حولى : ماذا تعرفون عن إخوانكم هؤلاء ؟ عن عددهم ، عن جغرافيتهم ، عن تاريخهم ، عن إمكاناتهم المادية والأدبية ، عن حاجاتهم . ووجدت أننا لا نعلم عنهم شيئاً يُذكر ، ولا نعرف جهة إسلامية تملك معلومات وافية موثّقة عنهم بالقدر الذى يشفى الغليل .

إن الحركة الإسلامية ، على المستوى المحلى والعالَمى ، ينبغى أن تعيش عصرها ، وتطوِّر نفسها ، وتُجَنِّد كل طاقاتها ، بل طاقات المسلمين من حولها . وأن تجعل شعارها هذا الدعاء : اللّهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا ، واجعل غدنا خيراً من يومنا ، وأحْسِن عاقبتنا فى الأمور كلها . اللّهم آمين .

* * *

ملاحق

من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

(أ) ملحق رقم (١) فى جواز تولى بعض الولايات فى دولة ظالمة لتخفيف بعض الظلم ، أو تقليل الشر .

(ب) ملحق رقم (٢) فى تعارض الحسنات والسيئات .

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

ملحق رقم (١)

جواز تولى بعض الولايات فى دولة ظالمة ، إذا كان المتولى سيعمل على تخفيف بعض الظلم ، أو تقليل حجم الشر والفساد

سُئِلَ الشيخ قدَّسَ اللّه روحُه :

عن رجل متول ولايات ، ومقطع إقطاعات ، وعليها من الكُلف السلطانية ما جرت به العادة ، وهو يختار أن يسقط الظلم كله ، ويجتهد فى ذلك بحسب ما قدر عليه ، وهو يعلم أنه إن ترك ذلك وأقطعها غيره وولى غيره فإن الظلم لا يترك منه شيء ؛ بل ربما يزداد ، وهو يمكنه أن يخفف تلك المكوس التى فى إقطاعه ، فيُسقط النصف ، والنصف الآخر جهة مصارف لا يمكنه إسقاطه ، فإنه يطلب منه لتلك المصارف عوضها ، وهو عاجز عن ذلك ، لا يمكنه ردها . فهل يجوز لمثل هذا بقاؤه على ولايته وإقطاعه ؟ وقد عُرِفَت نيته ، واجتهاده ، وما رفعه من الظلم بحسب إمكانه ، أم عليه أن يرفع يده عن هذه الولاية والإقطاع ، وهو إذا رفع يده لا يزول الظلم ، بل يبقى ويزداد . فهل يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع كما ذُكِرَ ؟ وهل عليه إثم فى هذا الفعل ؟ أم لا ؟ وإذا لم يكن عليه إثم ، فهل يُطالَب على ذلك ؟ أم لا ؟ وأى الأمرين خير له : أن يستمر مع اجتهاده فى رفع الظلم وتقليله ، أم رفع يده مع بقاء الظلم وزيادة ؟ وإذا كانت الرعية تختار بقاء يده لما لها من المنفعة به ، ورفع ما رفعه من الظلم ، فهل الأولى يبقى ويزداد برفع يده .

فأجاب : الحمد للّه . نعم إذا كان مجتهدا فى العدل ورفع الظلم بحسب إمكانه ، وولايته خير وأصلح للمسلمين من ولاية غيره ، واستيلاؤه على الإقطاع خير من استيلاء غيره ، كما قد ذُكِرَ : فإنه يجوز له البقاء على الولاية والإقطاع، ولا إثم عليه فى ذلك ؛ بل بقاؤه على ذلك أفضل من تركه إذا لم يشتغل إذا تركه بما هو أفضل منه .

وقد يكون ذلك عليه واجباً إذا لم يقم به غيره قادراً عليه . فنشر العدل ، بحسب الإمكان ، ورفع الظلم بحسب الإمكان - فرض على الكفاية،يقوم كل إنسان بما يقدر عليه من ذلك إذا لم يقم غيره فى ذلك مقامه ، ولايطالَب والحالة هذه بما يعجز عنه من رفع الظلم .

وما يقرره الملوك من الوظائف التى لا يمكنه رفعها لا يطلب بها ، وإذا كانوا هم ونوابهم يطلبون أموالاً لا يمكن دفعها إلا بإقرار بعض تلك الوظائف ، وإذا لم يدفع إليهم أُعطوا تلك الإقطاعات ، والولاية لمن يقرر الظلم او يزيده ، ولا يخففه،كان أخذ تلك الوظائف ودفعها إليهم خيراً للمسلمين من إقرارها كلها ، ومَن صرف من هذه إلى العدل والإحسان فهو أقرب من غيره ، ومَن تناوله من هذا شيء أبعد عن العدل والإحسان من الظلم ، ويدفع شر الشرير بأخذ بعض ما يطلب منهم ، فما لا يمكنه رفعه هو محسن إلى المسلمين غير ظالم لهم ، يُثاب ، ولا إثم عليه فيما يأخذه على ما ذكره ، ولا ضمان عليه فيما أخذه ، ولا إثم عليه فى الدنيا والآخرة إذا كان مجتهداً فى العدل والإحسان بحسب الإمكان .

وهذا كوصى اليتيم وناظر الوقف والعامل فى المضاربة والشريك ، وغير هؤلاء ممن يتصرف لغيره بحكم الولاية أو الوكالة إذا كان لا يمكنه فعل مصلحتهم إلا بأداء بعضه من أموالهم للقادر الظالم : فإنه محسن فى ذلك غير مسيء ، وذلك مثل ما يعطى هؤلاء المكّاسين وغيرهم فى الطرقات ، والأشوال ، والأموال التى ائتمنوا ؛ كما يعطونه من الوظائف المرتبة على العقار ، والوظائف المرتبة على ما يُباع ويُشترى ؛ فإن كل مَن تصرف لغيره أو لنفسه فى هذه الأوقات من هذه البلاد ونحوها فلا بد أن يؤدى هذه الوظائف ، فلو كان ذلك لا يجوز لأحد أن يتصرف لغيره لزم من ذلك فساد العباد وفوات مصالحهم .

والذى ينهى عن ذلك لئلا يقع ظلم قليل لو قبل الناس منه تضاعف الظلم والفساد عليهم ، فهو بمنزلة مَن كانوا فى طريق وخرج عليهم قُطّاع الطريق ، فإن لم يرضوهم ببعض المال أخذوا أموالهم وقتلوهم . فمَن قال لتلك القافلة : لا يحل لكم أن تعطوا لهؤلاء شيئاً من الأموال التى معكم للناس ، فإنه يقصد بهذا حفظ ذلك القليل الذى ينهى عن دفعه ، ولكن لو عملوا بما قال لهم ذهب القليل والكثير وسُلِبوا مع ذلك ، فهذا مما لا يشير به عاقل ، فضلاً أن تأتى به الشرائع ، فإن اللّه تعالى بعث الرُسُل لتحصيل المصالح ، وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان .

فهذا المتولى المقطع الذى يدفع بما يوجد من الوظائف ، ويصرف إلى مَن نسبه مستقراً على ولايته وإقطاعه ظلماً وشراً كثيراً عن المسلمين أعظم من ذلك ، ولا يمكنه دفعه إلا بذلك ، إذا رفع يده تولى مَن يقره ولا ينقص منه شيئاً ، وهو مثاب على ذلك ، ولا إثم عليه فى ذلك ولا ضمان فى الدنيا والآخرة .

وهذا بمنزلة وصى اليتيم ، وناظر الوقف الذى لا يمكنه إقامة مصلحتهم إلاَّ بدفع ما يوصل من المظالم السلطانية ، إذا رفع يده تولى مَن يجور ويزيد الظلم ، فولايته جائزة ، ولا إثم عليه فيما يدفعه ؛ بل قد تجب عليه هذه الولاية .

وكذلك الجندى المقطع الذى يخفف الوظائف عن بلاده ، ولا يمكنه دفعها كلها؛ لأنه يطلب منه خيل وسلاح ونفقة لا يمكنه إقامتها إلا بأن يأخذ بعض تلك الوظائف ، وهذا مع هذا ينفع المسلمين في الجهاد . فإذا قيل له : لا يحل لك أن تأخذ شيئاً من هذا ؛ بل ارفع يدك عن هذا الإقطاع . فتركه وأخذه مَن يريد الظلم ، ولا ينفع المسلمين : كان هذا القائل مخطئاً جاهلاً بحقائق الدين ؛ بل بقاء الجند من الترك والعرب الذين هم خير من غيرهم ، وأنفع للمسلمين ، وأقرب للعدل على إقطاعهم ، مع تخفيف الظلم بحسب الإمكان ، خير للمسلمين من أن يأخذ تلك الإقطاعات مَن هو أقل نفعاً وأكثر ظلماً .

والمجتهد من هؤلاء المقطعين كلهم فى العدل والإحسان بحسب الإمكان يجزيه الله على ما فعل من الخير ، ولا يعاقبه على ما عجز عنه ، ولا يؤاخذه بما يأخذ ويصرف إذا لم يمكن إلا ذلك : كان ترك ذلك يوجب شراً أعظم منه ... والله أعلم [1] .

* * *

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام جـ ٣٠ ص ٣٥٦ - ٣٦٠ .

ملحق رقم (٢)

فصل جامع فى تعارض الحسنات والسيئات

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية من فصل فى تعارض الحسنات والسيئات :

إذا ثبت أن الحسنات لها منافع وإن كانت واجبة : كان فى تركها مضار ، والسيئات فيها مضار ، وفى المكروه بعض حسنات ، فالتعارض إما بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما ، فتقدَّم أحسنهما بتفويت المرجوح ، وإما بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما : فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما ، وإما بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما : بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة ، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة ، فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة .

فالأول : كالواجب والمستحَب ، وكفرض العين ، وفرض الكفاية مثل تقديم قضاء الدَين المُطالَب به على صدقة التطوع .

والثانى : كتقديم نفقة الأهل على نفقة الجهاد الذى لم يتعين ، وتقديم نفقة الوالدين عليه ، كما فى الحديث الصحيح : أى العمل أفضل ؟ قال : « الصلاة على مواقيتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « ثم بر الوالدين » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « ثم الجهاد فى سبيل الله » ، وتقديم الجهاد على الحج كما فى الكتاب والسُنَّة،متعين على متعين ومستحَب على مستحَب ، وتقديم قراءة القرآن على الذكر إذا استويا فى عمل القلب واللسان ، وتقديم الصلاة عليهما إذا شاركتهما فى عمل القلب ، وإلا فقد يترجح الذكر بالفهم والوجل على القراءة التى لا تجاوز الحناجر ، وهذا باب واسع .

والثالث : كتقديم المرأة المهاجرة لسفر الهجرة بلا مُحْرِم على بقائها بدار الحرب، كما فعلت أم كلثوم التى أنزل الله فيها آية الامتحان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (١) .

---

(١) الممتحنة : ١٠

وكذلك فى « باب الجهاد » وإن كان قتل مَن لم يقاتل من النساء والصبيان وغيرهم حراماً ، فمتى احتيج إلى قتال قد يعمهم مثل : الرمى بالمنجنيق والتبييت بالليل جاز ذلك ، كما جاءت فى السُنَّة فى حصار الطائف ورميهم بالمنجنيق ، وفى أهل الدار من المشركين يبيتون ، وهو دفع لفساد الفتنة أيضاً بقتل من لا يجوز قصد قتله .

وكذلك « مسألة التترس » التى ذكرها الفقهاء ، فإن الجهاد هو دفع فتنة الكفر ، فيحصل فيها من المضرة ما هو دونها ، ولهذا اتفق الفقهاء على أنه متى لم يمكن دفع الضرر عن المسلمين إلا بما يفضى (إلى) قتل أولئك المتترَس بهم جاز ذلك ، وإن لم يخف الضرر لكن لم يمكن إلا بما يُفضى إلى قتلهم ففيه قولان .

وأما الرابع : فمثل أكل الميتة عند المخمصة ، فإن الأكل حسنة واجبة لا يمكن إلا بهذه السيئة ومصلحتها راجحة ، وعكسه الدواء الخبيث ، فإن مضرته راجحة على مصلحته من منفعة العلاج ، لقيام غيره مقامه ، ولأن البراء لا يتيقن به وكذلك شرب الخمر للدواء .

فتبيَّن أن السيئة تُحتمل فى موضعين : دفع ما هو أسوأ منها ، إذا لم تُدفع إلا بها ، وتحصل بما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها . والحسنة تترك فى موضعين : إذا كانت مفوِّتة لما هو أحسن منها : أو مستلزمة لسيئة تزيد مضرتها على منفعة الحسنة . هذا فيما يتعلق بالموازنات الدينية .

وأما سقوط الواجب لمضرة فى الدنيا ، وإباحة المحرَّم لحاجة الدنيا ، كسقوط الصيام لأجل السفر ، وسقوط محظورات الإحرام وأركان الصلاة لأجل المرض . فهذا باب آخر يدخل فى سعة الدين ورفع الحَرَج الذى قد تختلف فيه الشرائع ، بخلاف الباب الأول فإن جنسه مما لا يمكن اختلاف الشرائع فيه وإن اختلفت فى أعيانه ، بل ذلك ثابت فى العقل ، كما يقال : ليس العاقل الذى يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذى يعلم خير الخيرين وشر الشرين ، وينشد :

إنَّ اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا

وهذا ثابت فى سائر الأمور .

ولهذا استقر فى عقول الناس أنه عند الجدب يكون نزول المطر لهم رحمة ، وإن كان يتقوى بما ينبته أقوام على ظلمهم ، لكن عدمه أشد ضرراً عليهم ، ويرجحون وجود السلطان مع ظلمه على عدم السلطان ، كما قال بعض العقلاء : ستون سنة من سلطان ظالم خير من ليلة واحدة بلا سلطان .

ثم السلطان يؤاخذ على ما يفعله من العدوان ويُفَرِّط فيه من الحقوق مع التمكن ، لكن أقول هنا : إذا كان المتولى للسلطان العام أو بعض فروعه كالإمارة والولاية والقضاء ونحو ذلك ، إذا كان لا يمكنه أداء واجباته وترك محرَّماته ، ولكن يتعمد ذلك ما لا يفعله غيره قصداً وقدرة ، جازت له الولاية ، وربما وجبت ! وذلك لأن الولاية إذا كانت من الواجبات التى يجب تحصيل مصالحها ، من جهاد العدو ، وقسم الفىء ، وإقامة الحدود ، وأمن السبيل ، كان فعلها واجباً ، فإذا كان ذلك مستلزماً لتولية بعض مَن لا يستحق ، وأخذ بعض ما لا يحل وإعطاء بعض مَن لا ينبغى ولا يمكنه ترك ذلك ، صار هذا من باب ما لا يتم الواجب أو المستحَب إلا به ، فيكون واجباً أو مستَحباً إذا كانت مفسدته دون مصلحة ذلك الواجب أو المستحَب بل لو كانت الولاية غير واجبة وهى مشتملة على ظلم ، ومَن تولاها أقام الظلم حتى تولاها شخص قصده بذلك تخفيف الظلم فيها ، ودفع أكثره باحتمال أيسره ، كان ذلك حسناً مع هذه النية ، وكان فعله لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها جيداً .

وهذا باب يختلف باختلاف النيَّات والمقاصد ، فمَن طلب منه ظالم قادر وألزمه مالاً ، فتوسَّط رجل بينهما ليدفع عن المظلوم كثرة الظلم ، وأخذ منه وأعطى الظالم مع اختياره أن لا يظلم ، ودفعه ذلك لو أمكن ، كان محسناً ، ولو توسَّط إعانة للظالم كان مسيئاً .

وإنما الغالب فى هذه الأشياء فساد النية والعمل ، أما النية فبقصده السلطان والمال ، وأما العمل فبفعل المحرَّمات وبترك الواجبات ، لا لأجل التعارض ولا لقصد الأنفع والأصلح .

ثم الولاية وإن كانت جائزة أو مستحَبة أو واجبة ، فقد يكون فى حق الرجل المعين غيرها أوجب . أو أحب ، فيقدَّم حينئذ خير الخيرين وجوباً تارة ، واستحباباً أُخرى .

ومن هذا الباب تولى يوسف الصدِّيق على خزائن الأرض ، لملك مصر ، بل ومسألته أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان هو وقومه كفاراً كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَا جَاءَكُمْ بِهِ ﴾ ... الآية [1] ، وقال تعالى عنه : ﴿ يَاصَاحِبَىِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ ... الآية [2] . ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادة وسُنَّة فى قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته . ولا تكون تلك جارية على سُنَّة الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين اللّه فإن القوم لم يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته ما لم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل فى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [3] .

فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقدَّم أوكدهما ، لم يكن الآخر فى هذه الحال واجباً ، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب فى الحقيقة .

---

(١) غافر : ٣٤ (٢) يوسف : ٣٩ (٣) التغابن : ١٦

وكذلك إذا اجتمع محرَّمان لا يمكن ترك أعظمها إلا بفعل أدناهما لم يكن فعل الأدنى فى هذه الحال محرَّماً فى الحقيقة ، وإن سمى ذلك ترك واجب،وسمى هذا فعل محرَّم باعتبار الإطلاق لم يضر ، ويقال فى مثل هذا : ترك الواجب لعذر وفعل المحرَّم للمصلحة الراجحة ، أو للضرورة ، أو لدفع ما هو أحرم .

وهذا باب التعارض باب واسع جداً ، لا سيما فى الأزمنة والأمكنة التى نقصت فيها آثار النبوَّة وخلافة النبوَّة ، فإن هذه المسائل تكثر فيها ، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل . ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأُمة ، فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم ، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة ، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة ، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين .

فينبغى للعالِم أن يتدبر أنواع هذه المسائل ، وقد يكون الواجب فى بعضها - كما بيَّنته فيما تقدم - العفو عند الأمر والنهى فى بعض الأشياء لا التحليل والإسقاط . مثل أن يكون فى أمره بطاعة فعل لمعصية أكبر منها ، فيترك الأمر بها دفعاً لوقوع تلك المعصية ، مثل أن ترفع مذنباً إلى ذى سلطان ظالم فيعتدى عليه فى العقوبة ما يكون أعظم ضرراً من ذنبه ، ومثل أن يكون فى نهيه عن بعض المنكرات ترك لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات ، فيسكت عن النهى خوفاً أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر [1] .

* * *

(١) مختصر من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٢٠ ص ٤٨ - ٦١